

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة محمد خيضر - بسكرة
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم الآثار

العتيقة بمدية بوادي دراسة أثرية عمرانية من القرن (01 هـ - 13 هـ / 13 م - 19 م)

إعداد الطالب :

تحت إشراف :

طرطاق الوردي

أ.د. صالح بن قربة

أعضاء لجنة المناقشة :

جامعة بسكرة

أستاذ التعليم العالي

أ.د/ زمام نور الدين

رئيساً

جامعة

أستاذ التعليم العالي

أ.د/ صالح بن قربة

مشرفاً و مقرراً

الجزائر

جامعة الجزائر

أستاذة محاضرة - ب.

د/ عبد الشكور نبيلة

أستاذ محاضر - أ.

عضوا مناقشا د/ عقاب محمد الطيب

عضوا مناقشا

جامعة الجزائر

السنة الجامعية: 1429 هـ - 1430 هـ
2008 م - 2009 م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كلمة شكر

أحمد الله كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك. وأصلي وأسلم على سيد الأنبياء والمرسلين وبعد.

أتقدم بالشكر والامتنان و أوفر التقدير إلى الأستاذ المشرف الأستاذ الدكتور صالح بن قربة على تتبعه كل دقيقة وجليلة في هذا العمل موجهها ومصححا، والذي لم يبخل علينا بكل ما يملك من علم ووقت ، وكذا على صبره معنا كل هذه المدة ، وإليه يرجع الفضل في إخراج هذا البحث، سائلا الله عز وجل التوفيق.

إهداء

إلى التي حملتني وهنا على وهن...أمي العزيزة
إلى الذي سهر على تكويني...أبي العزيز
إلى شريكتي في درب الحياة...زوجتي الحبيبة

إلى ولدي وقرّة عيني...فاديه، ومحمد رفيق...
إلى إخوتي العايش ، خليفة ، عادل .إلى أخواتي
إلى كل هؤلاء أهدي ثمرة هذا الجهد

كلمة شكر وتقدير

من باب من لم يشكر الناس لم يشكر الله لا بد من
كلمة شكر إلى كل الذين قدموا وساهموا في انجاز هذا
العمل ، وأخص بالذكر الأستاذ الدكتور صالح بن قربة ، و
إلى الأستاذ خالف محمد نجيب متمنيا له الشفاء ودوام
الصحة والعافية وكل الأساتذة الذين أشرفوا على تأطيري .
أساتذة جامعة وادي سوف وعلى رأسهم عمري علي
، الأستاذ حتيري وعلي غنايزية ، بن موسى موسى ،
السعيد المشردي إلى المهندس بوضياف مسعود ، وإلى
إمام المسجد العتيق بالوادي ، كما أتقدم بالشكر إلى شيخ
الزاوية وإلى مقدمها الصادق فقيري ، إلى أخي العايش
، وشكر خاص للسيدة بن رابح كاتبة عامة في المدرسة

العليا للسياحة بالعاصمة ، إلى سكان وادي سوف ، و إلى
زملائي.

فتقبلوا مني فائق الشكر

والتقدير

المقدمة

إن تكون العمارة الإسلامية هي نتاج تنوع وتباين بيئي ومادي وثقافي وفكري للمجتمعات التي تشكل العالم الإسلامي ، والتي لعبت دورا فعالا في انجاز عمائر لها خصوصيتها ذات النمط الموحد والتي لم تخرج من إطارها الإسلامي .

هذا التنوع سمح للإنسان السوفي من انجاز نموذج غاية في الروعة للعمارة الصحراوية ، ونظرا لقيمتها التاريخية والأثرية بما تحملها من مميزات فقد جلبت أنظار العديد من الباحثين والمهندسين ومؤرخي الفن حتى أنها عرفت بمدينة الألف القبة ، لكن وبالرغم من كل ذلك فهي تمثل المدينة الإسلامية بحق لارتباطها بأصول العمارة الإسلامية.

وبما أنني أنتمي إلى المجتمعات الصحراوية وما عرفته عن مدينة وادي سوف من طرف زملائي في الجامعة ، مما أثار في نفسي حاجة الإطلاع ورغبة المعرفة أكثر في هذا النوع من العمائر ، لذا توجهت للبحث في أسرار العمارة الإسلامية بهذه المدينة .

وقد كان من الأسباب الأخرى التي دفعتني على اختيار هذا الموضوع :

1- معاناة بعض المعالم الأثرية من الإهمال رغم أنها لا زالت تحافظ على وظيفتها الأصلية.
2- التعريف بأثار هذه المنطقة وأهميتها لدفع المهتمين بهذا المجال وخاصة من أبناء المنطقة للعناية بها أكثر ، باعتبارها شاهدا ماديا لحضارات نمت وازدهرت في تلك المناطق ، وعاملا مشجعا على السياحة في بلادنا.

3- توعية الناس بأهمية هذه المعالم الأثرية وقيمتها حتى لا تدخل في طي النسيان والعمل على بعثها في الحياة لتتبع تاريخنا وحضارتنا وتعزيز معالم شخصيتنا العربية الإسلامية .

المدينة العتيقة بوادي سوف _____ المقدمة

وقد تمحور البحث على مجموعة من الإشكاليات التي تدور حول :
تاريخ وجغرافية المنطقة.

-خصائص ومميزات هذه العمائر ، وما هي العوامل المؤثرة فيها والتي تشكلت معالمها على تلك الصورة التي وصلت إلينا حتى اليوم.

وقد اعتمدت في انجازها الموضوع على مجموعة من المصادر والمراجع أهمها:

1 -القرآن الكريم

2 -مؤنس ،حسين : تاريخ المغرب وحضارته من قبل الفتح العربي إلى بداية الاحتلال الفرنسي للجزائر من ق 6الى ق 19م ،المجلد الأول ،الطبعة الأولى ، العصر الحديث للنشر والتوزيع ،بيروت لبنان ،1412هـ /1992م ، الذي تناول أصل البربر الذين استوطنوا بلاد سوف ويعطي تعريفا وافيا عن منطقة الجريد وكذا الفتوحات الإسلامية الى المغرب العربي.

1/3- الماوردي أبو الحسن علي بن محمد : تسهيل النظر وتعجيل الظفر في أخلاق الملك وسياسة الملك ،تحقيق محي هلال السرحان وحسن الساعاتي ، دار النهضة العربية ، الطبعة

الأولى ، لبنان 1981

2/3-الشيرزي ،عبد الرحمن بن نصر: كتاب نهاية الرتبة في طلب الحسبة ، نشره السيد الباز العريبي ، دار الثقافة بيروت ، ط2 ، 1981
3/3- ابن خلدون ،عبد الرحمن:-كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب العجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر،ج4، دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر، بيروت ، لبنان ، 1981.

- المقدمة، تحقيق علي عبد الواحد وافي، مصر 1965

4/3-ابن أبي الربيع أحمد بن محمد : سلوك المالك في تدبير الممالك ،تحقيق ناجي التكريتي ،مطبعة الهدف ،بيروت ، 1978،

المدينة العتيقة بوادي سوف _____ المقدمة

وهم من رواد الفكر العمراني الإسلامي ،أفادني في التعرف على شروط بناء المدن الإسلامية ،وإسقاط هذه الشروط على مدينة وادي سوف وادي سوف

-إبراهيم مياسي: الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية 1837-1934، دار هومة، 2005
الذي تناول الحديث عن تاريخ وجغرافية مدينة وادي سوف

- العوامر ،إبراهيم: الصروف في تاريخ الصحراء وسوف، تعليق الجيلاني العوامر، ط2،الدار التونسية للنشر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، تونس-الجزائر 1977
الذي فصل في اصل تسمية المدينة، كما تناول تاريخ وجغرافية المدينة ، والتجمعات السكانية التي استوطنت مدينة سوف وخارجها ومفصلا في نسب القبائل التي تسكن اقليم وادي سوف.

-حملاوي ،علي: نماذج من قصور منطقة الأغواط ، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ، وحدة الرغاية ، الجزائر ، 2006

الذي افادني في دراسته التحليلية والأثرية للمنشآت الدينية والمدنية و مواد تقنيات البناء في المناطق الصحراوية
كما اعتمدت على مراجع باللغة الفرنسية أهمها :

Andrei Voisin:

le Souf monographie d'une Région saharienne-
blic dansParis1985

Ahmed Nadjah:

le Souf des Oasis, Edition la maison des Livres
Alger, 1971

C, bataillon:

le souf ,etude de geographie humaine ,mémoire
n2 ,universit d'alger

المدينة العتيقة بوادي سوف _____ المقدمة

والتي أفادتني كثيرا في إنجاز هذا البحث من خلال دراساتهم التفصيلية لمدينة وادي سوف من الجانب التاريخي والجغرافي وكذا الجانب العمراني. ولا يكاد أي عمل يخلو من الصعوبات ، فقد واجهتني أثناء دراستي لهذا الموضوع مجموعة من الصعوبات والعقبات أهمها:

-قلة المصادر والمراجع التي تتعلق بالجانب التاريخي خاصة في الفترة الإسلامية والتي تميزت بالغموض في بعض فتراتها ، وحتى وان وجدت مراجع في تاريخ المنطقة فهي تتسم بالغموض مثل كتاب تاريخ العدواني لصاحبه محمد العدواني الذي يعتمد في بعض محطاته على سرد بعض الأساطير ، مما يجعل الاستفادة منه في هذا الموضوع منعدمة.

-أغلب العمائر المدنية أهلة بالسكان أو مغلقة مما شكل عائقا أمامي في أخذ الصور والمقاسات من داخل المنازل ثم الرفع المعماري لها .

-بعد المنطقة شكل عائقا في إنجاز هذا الموضوع وعدم الدراية ببعض المناطق لذا أقضي وقتا كبيرا في البحث ، مما أدى إلى إستنجابي ببعض الأشخاص من مهندسين وأساتذة وعامة الناس لإذابة هذه العقابيل.

وقد اتبعت منهجا لدراسة هذا الموضوع شمل جانبيين رئيسيين :

-الجانب النظري : الذي يشمل الإطلاع على مختلف المصادر والمراجع ومختلف البحوث والدراسات التي تخدم الموضوع ، والتعرف على المواقع التي هي قيد الدراسة

-الجانب التطبيقي : ويشمل الزيارات الميدانية للمواقع المراد دراستها و الذي يضم دراسة وصفية لهذه المعالم ، وتقنيات ومواد الإنشاء ، كما تم تدعيمه بصور وخرائط.

وللإجابة على هذه الإشكاليات السابقة قمت بتقسيم البحث إلى مقدمة ومدخل وثلاثة فصول .

المدينة العتيقة بوادي سوف _____ المقدمة

المدخل تناولت فيه البحث التاريخي والنظري انطلاقا من النصوص التاريخية و الجغرافية ، وتطرق في فيه لأصل التسمية ومعناها ، و ثم الإطار الجغرافي الذي بحثت فيه الموقع الجغرافي والتضاريس والمناخ...، ثم أعقبته بالإطار التاريخي للتعرف على الحضارات التي تعاقبت على المنطقة ، بداية من عصور ما قبل التاريخ حتى العصور الحديثة إلى فترة الاحتلال الفرنسي للمنطقة ، وختمت هذا الفصل بالحديث عن رواد الفكر العمراني الإسلامي وما وضعوه من شروط أساسية لاختيار الأماكن وتأسيس المدن وعلاقته بنشأة مدينة وادي سوف.

أما الفصل الأول فقد تناولت فيه بالدراسة العمارة الدينية ، معرفا بالتجمعات السكانية لمدينة وادي سوف القديمة موضوع الدراسة وموقعه . واحتوى الفصل على دراسة تحليلية وميدانية للمنشآت الدينية كالمسجد العتيق وتخطيطه ومكوناته المعمارية ثم كذلك درست زاوية سيدي سالم .

وفي الفصل الثاني خصصته للدراسة الميدانية التحليلية للمنشآت المدنية للمرافق العامة من " الشوارع ، الأسواق ، والساحات ثم المقبرة " ، ثم دراسة المنازل متناولا أنواعها عند أهل سوف كما تم تحديد مرافقها الأساسية.

أما الفصل الثالث فقد تناولت فيه البناء السوفي من حيث مواد وتقنيات البناء والزخرفة التي ميزت طرز البناء في وادي سوف.

وأخيرا أنهيت البحث بخاتمة لأهم النتائج المتوصل إليها ، ولتكون أكثر وضوحا دعمتها بمجموعة توضيحية من خرائط ، وأشكال ، وصور ، و فهارس للأعلام والأماكن الواردة في البحث ، وأخيرا قائمة بأسماء المصادر والمراجع المعتمدة في البحث ، و فهرسة للمواضيع المتناولة فيه.

المدينة العتيقة بوادي سوف _____ المقدمة

وقد أفادني هذا الموضوع من حيث الإطلاع والتعرف على أسرار المدينة الإسلامية عامة ومدينة وادي سوف بصفة خاصة.

وختاماً أرجو أن أكون قد وفقت في التعريف العمراني لمنطقة وادي سوف . وان بدا خلل أو نقص فكل عمل لا يمكن أن يخلو منهما ، وأتمنى أن يكون لبنة أخرى تضاف للتعريف بتاريخنا وحضارتنا ، وإن وفقت فيه فمن عند الله ، وإن أخطأت فحسبي أن لي أجراً على ذلك .

وفي الأخير لا يسعني إلا أن أتقدم بالشكر الجزيل إلى أعضاء لجنة المناقشة الذين تجشموا الصعاب وقضوا وقتاً طويلاً في قراءة هذا العمل الذي بين أيديهم . و إلى كل من قدم يد المساعدة و اخص بالذكر الأستاذ المشرف.

فهارس الموضوعات

كلمة شكر

اهداء

المقدمة

المدخل العام

02..... دلالة وادي سوف

أولا :الشروط الجغرافية

05..... الموقع والحدود

06..... التضاريس

07..... المناخ وخصائصه

ثانيا: الإطار التاريخي:

10..... 1-سوف ما قبل التاريخ

10..... 2-وادي سوف ما قبل الفتح الإسلامي

12..... 3-وادي سوف خلال العصر الإسلامي

17..... 4-سوف في الفترة العثمانية

18..... 5-الاحتلال الفرنسي لإقليم سوف

22..... ثالثا: تطور الفكر العمراني الإسلامي وعلاقته بنشأة المدينة

27..... خلاصة المدخل العام

الفصل الأول :المنشآت الدينية

أولا:مجتمع وادي سوف

29..... 1-أصل السكان

30..... 2-التركيبة الاجتماعية لمدينة وادي سوف

33..... ثانيا : المسجد الجامع

35..... -تخطيط المسجد

36..... -بيت الصلاة

36..... -الدعامات والأعمدة

37..... -العقود

38.....	-الفتحات والكوات
39.....	-المحراب
40.....	-المنبر
42.....	-القبة
43.....	-الصحن
44.....	-المئذنة
46.....	-الميزاب

48.....	ثالثا : الزاوية
48.....	-موقع الزاوية
50.....	- المسجد
50.....	-المحراب
50.....	-المنبر
51.....	-القبة
52.....	-الصحن
52.....	-الضريح
53.....	-المئذنة
54.....	-خلاصة الفصل الأول

الفصل الثاني: المنشآت المدنية

أولاً: المرافق العامة

57.....	1- الشوارع
59.....	2- الأسواق
61.....	3- الساحات
63.....	4- المقابر

ثانياً : المساكن

67.....	1: البيت السوفي العتيق
70.....	2: التجمعات السكانية "الحوش"
71.....	أ- السقيفة
72.....	ب- دار الخزين
72.....	ج- المطبخ
73.....	د- غرفة
73.....	هـ- السباط
74.....	و- الإصطبل
74.....	ز- البئر
74.....	ح- السلالم
75.....	ط- الإنارة في البيوت
75.....	ك- السطح

76.....خلاصة الفصل الثاني

الفصل الثالث: مواد الإنشاء و خصائص البناء

78.....أولاً: مواد البناء

- 1-الجبس.....78
- 2-عناصر النخيل.....81
- 3-الحجارة.....82

82.....ثانياً- طرق البناء

- 1- طريقة المداميك.....83
- 2-طريقة آدية و شناوي.....84
- 3-طريقة السنبلة.....84
- 4- طريقة المزج.....85
- بناء الأسس.....86
- ب-بناء الجدران.....87
- ج : التسقيف.....89

91.....ثالثاً: الزخرفة

- 1-العناصر الهندسية.....92
- 2-العناصر النباتية.....93
- 3-العناصر الكتابية.....93
- 4-الرسم بأصابع اليد.....93
- 5-الهلال والنجمة.....94
- 96.....خلاصة الفصل الثالث

97.....الخاتمة فهرس الأعلام و

101.....الأماكن

113.....قائمة المصادر والمراجع

126.....ملاحق الأشكال والصور

176.....فهرس الخرائط والأشكال والصور

180.....فهرس الموضوعات

الفصل الأول: المنشآت الدينية

-تمهيد

أولاً: التجمعات السكانية لمدينة سوف القديمة
ثانياً: المسجد

1-تخطيطه

2-المكونات المعمارية

ثالثاً:الزاوية

الفصل الأول _____ المنشآت الدينية

تمهيد

تحتوي مدينة وادي سوف على منشآت دينية تتمثل أساسا في المسجد الجامع أو ما يعرف محليا بالمسجد العتيق ، وكذا الزاوية الرحمانية التي انفردت بمئذنتها ذات القيمة التاريخية والأثرية التي تحملها والتي تم تصنيفها من قبل منظمة اليونسكو سنة 2008م ضمن التراث العالمي.

والجدير بالذكر أن هذه المنشآت الدينية كانت من الجانب المعماري بسيطة للغاية تترجم بساطة أهلها في عيشتهم وتتوافق مع ما تمليه الشريعة الإسلامية،بالإضافة إلى ذلك فإنها لم تشيد لخليفة أو بأمر منه، مثلما جرت العادة في غالبية المدن الإسلامية ، ولم تكن عملا يتباهى به بل هو عمل ينال به ابتغاء وجه الله ، وقبل دراسة المنشآت الدينية لمدينة وادي سوف يجب التطرق أولاً للمجتمع السوفي و تركيبته الاجتماعية التي ساهمت في بناء المدينة على هذا الطراز.

أولاً:مجتمع وادي سوف

1- أصل السكان

يرجع أصل سكان وادي سوف إلى العدوانيين والطرود وشطر قديم من سكان البربر الذين انهزموا و انصهروا داخل الوافدين الجدد¹ والمتمثلين فيما يلي :
أ - العدوانيين:

يرجع أصل عدوانيي سوف إلى عدوان القادم مع الفاتحين الأوائل في عهد عقبة بن نافع خلال القرن الأول الهجري وينتسبون لفرع الكعوب من بني سويلم ، لما تراجعت الفتوحات أصر هذا الأخير على البقاء بنواحي الكاف والقيروان وتزوج من بربرية وبعدها تطورت أسرته وكثر عددهم² مما أدى إلى حدوث أزمات لذا انتقل بعضهم يجولون في الأرض ، حتى وصلوا الجردانية فأرادوا سكناها مع من فيها من البربر الذين مانعوه ، فوَقعت مشادات بين الفريقين كان النصر حليف العدوانيين في _____

Andre Voisin:Op.Cit, P/93
ibib, P/93

1-أنظر
2-أنظر

الفصل الأول _____ المنشآت الدينية

بدايات القرن (07هـ/13م) فأخرجوهم ونزلوا منازلهم ، وأصبحوا بعد ذلك أسياد البلاد إلى أن جاء الطرود.¹
ب- الطرود:

وهم شطر من بني سويلم قدموا من شبه الجزيرة العربية من الشرق الأوسط في النصف الثاني من القرن الأول الهجري ، قدموا إلى وادي سوف بقيادة مسروق بن حنضلة الذي قتل ابن عمه وفر مع قبيلته إلى مصر ، ثم إلى طرابلس ، ليصل إلى تونس .وبعد تأزم أمورهم وعدم قدرتهم على إيجاد حل لضالتهم أشار عليهم شيخ منهم أن يتخذ لهم حلا شرط أن يحملوا اسمه وهو "طرود بن دابس "

خيم الطرود عند بني زيد قرب خليج قابس لينتقلوا إلى تونس² ، ثم إلى سوف بأرض تعرف بعقلة الطرود التي تمتد بين نفضة و الجردانية³ ،ليهاجموا العدوانيين في حدود(799هـ/1398م) انهزم فيها العدوانيين ، غير أن المعاملة اللائقة التي تلقوها من الطرود جعلتهم يتصالحون⁴ ، فنزلت قبيلة الطرود بالناحية الجنوبية الشرقية لمدينة الوادي ، واستقرت قبيلة عدوان بالناحية الشمالية ليستتب الأمن ويعود الهدوء والسلام⁵ .
ويذكر ابن خلدون أن العدوانيين والطرود من أصل واحد ينتسبون إلى " فاهم بن عامر بن قيس بن غيلان"⁶

2:التركيبة الاجتماعية لمدينة وادي سوف

إن أهل مدينة وادي سوف قد تركبوا من قبائل وفصائل وعمائر وبطون وأفخاذ متعددة ويصعب تحديد الفترة الزمنية التي ظهرت خلالها هناك والتي كانت عموما قبل القرن العاشر الهجري أي قبل بناء المسجد العتيق في حدود (975هـ/1597م) ، وما _____

Andre Voisin:Op.Cit, P/67

1-إبراهيم مياسي : المرجع السابق ، ص 159
2-أنظر

3- إبراهيم مياسي : المرجع السابق ، ص 161

Andre Voisin:Op.Cit, P/67

4-أنظر

5- العوامر : المرجع السابق ، ص160

6-ابن خلدون ، المقدمة ،المصدر السابق ، ص155-156

الفصل الأول _____ المنشآت الدينية 1 تجدر، وما تجدر إليه الإشارة أن هذه القبائل

كانت تتكون من عشائر متميزة تختص كل واحدة منها بمجال محدود (خريطة رقم 03)، ومن أشهر هذه القبائل بالترتيب حسب القدم ، كما يلي:

- أولاد أحمد(خريطة رقم 03)

هي قبيلة كانت في القديم عظيمة ، وهي إحدى القبائل المنظمة لشعب الأعشاش ، قيل سموا أولاد احمد نسبة إلى أحمد بن هبيب بن بهنة بن سليم بن منصور بن عكرمة بن حفصة بن قيس عيلان¹ ، وهم شطر من طرود أتوا إلى الوادي في سنة (800هـ/1398م) ، ونزلوا قرب سيدي مسطور الوالي الصالح القادم من القيروان تقع في الجهة الجنوبية لمدينة وادي سوف (المخطط رقم 04)² ، وتتكون من سبع بطون هي : السوفية ، أولاد مياسة ، أولاد جاب الله ، الاميهات ، العواشير ، أولاد عياد ، السوامش³ .

2-الأعشاش: (خريطة رقم 03)

إن المتعارف بين الناس أن الإنسان إذا كثرت ذريته يسمونه عشا تشبيها بعش الطائر الذي يجمع فيه العيدان والريش ،والجمع عشاش وأعشاش وعشوش¹ ويعتقد أنها سميت كذلك لكثرة الطوائف الذين سكنوا الحي.

أما العدواني وعامة الناس يرون أنهم ينتسبون إلى رجل اسمه العش بن عمر بن سلمان بن محمد اليربوعي بن حنظله بن ملك بن زيد مناه بن تميم بن مرة بن طابخة كان منزله بقرية نفاوة يقال لها تلمين الكبرى- وهم أقدم الرحالة الطرود ينحدرون من فرع الكعوب من بني سويلم –⁴ إذ وعده أمير تونس بالولاية على هذه القرية فحمله بالهدايا الثمينة أمرا إياه بكتابة من أهالي البلاد في عدم رضاهم بابن كنعان وقبولهم العش عليهم، لكن هذا الأخير فر إلى سوف مع نسائه ، وأولاده حاملا _____

1-العوامر : المرجع السابق ، ص278-279

2-إبراهيم مياسي : المرجع السابق ، ص 161

3-ابن منظور : المصدر السابق،المجلد 6، ص316

4-العوامر : المرجع السابق ، ص278-279

الفصل الأول _____ المنشآت الدينية

معه أئاته، حتى وصل إلى أولاد أحمد فأووّه وأكرموه وتصاهروا منه وانتموا إليه ، ويقع الأعشاش في الجهة الشرقية لمدينة وادي سوف ، (المخطط رقم 04)، ويتكون من البطون التالية: الفقهة ، أولاد خليفة ، أولاد حميدة ، الجبيرات ، الكساسبة ، أولاد عيسى ، العيايدة ، الحليلات ، الزبدة ، أولاد مضغونة¹.

3-المصاعبة(خريطة رقم 03)

يعود أصلهم الى بني سويلم جاؤوا إلى مدينة وادي سوف خلال القرن السابع الهجري²، والذي جرى على الألسنة في الأزمنة الأخيرة أن هذا الشعب يسمى المصاعبة ، واختلفوا في سبب التسمية بذلك ، فالبعض يقولون لأنهم ينسبون إلى مصعب بن شباط ، لكن هذا الاسم أتى لهم متأخرا ، وهم كانوا شعبا عظيما قبل وجود مصعب فيهم ، ويقال لهم المصاعبة أو الأصاعبة نسبة إلى رجل ذي إصبع زائدة ، تقع في الجهة الشمالية والغربية من المدينة (المخطط رقم 04)، وهذا الشعب ينقسم إلى أربع قبائل وهي : قبيلة الشباطة ، قبيلة القرافين ، قبيلة العزازلة ، قبيلة الربايع³.

الفصل الأول ————— المنشآت الدينية

ثانيا : المسجد الجامع

يقصد بالمسجد شرعا كل مكان يسجد فيه ويتعبد وجمعه مساجد¹ -وقد جعلت الأرض كلها مسجدا باستثناء الأماكن المتيقن من نجاستها، وهناك أحاديث نبوية شريفة في حق المسجد : منها قوله صلى الله عليه وسلم : " جعلت لي الأرض مسجدا وطهورا ، فأيما رجل أدركته الصلاة فليصلي " - وهي خاصية انفردت بها الأمة المحمدية دون غيرها من الأمم الأخرى² .
أما المسجد اصطلاحا فيقصد به المكان المخصص للصلوات الخمس، ومنه جاءت تسمية المسجد الجامع الذي اختير لإقامة الصلوات الخمسة بالإضافة إلى صلاة الجمعة، واختص دون سواه بوجود المنبر، ويعرف باسم الجامع.

ورد ذكر كلمة "المسجد" و"مساجد" في القرآن الكريم في ثمانية وعشرين موضعا³ منها قوله تعالى: "يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين"⁴. وقال أيضا: " للمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المتطهرين"⁵.

وكان المسجد الأول في الإسلام أقيم في "قباء" خارج المدينة قبل الهجرة ، بناءا لتعاليم الرسول صلى الله عليه وسلم⁶ وبالتالي فهو يحتل المكانة الأولى بين العمار الإسلامية⁷ حيث أنه مكانا للعبادة ومركز للإشعاع الثقافي والديني والاجتماعي ، إذ يعتبر منظم العلاقة الاجتماعية بين الإنسان والإنسان والحارس الأمين لتطبيق تعاليم

1-ابن منظور، جمال الدين محمد ، المصدر السابق، المجلد 3، ص204

2- الأمم السابقة لا يصلون إلا في موقع يتيقنون من طهارته للصلاة كالبيع اليهودية والكنايس المسيحية

3- الشيخ طه ولي الدين ، المساجد في الإسلام ، ط1، دار العلم للملايين ، 1988، ص 140

4- الآية 31 من سورة الأعراف

5- الآية 108 من سورة التوبة

6-فريد الشافعي، العمارة العربية في مصر الإسلامية في عصر الولاة، المجلد الأول، المطبعة الثقافية، القاهرة، 1970، ص55

7-المرجع نفسه، ص65

الفصل الأول ————— المنشآت الدينية

الإسلام على مسرح المدينة، ويتجلى ذلك في الموقع الذي يحتله في قلب المدينة منذ هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المدينة المنورة و إقامة المجتمع المسلم.
زيادة على وظيفته الدينية التعبديية، يعتبر كذلك مركزا لبحث الشؤون السياسية والعلمية والاجتماعية وملتقا علميا...¹

وحكمت هذه الأهمية للمسجد الجامع موضعه في المدينة باعتباره النواة الأساسية في تخطيطها فقد كان أول ما يختط في المدينة وتنتهي إليه شوارعها وأزقتها وكانت مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم المثال الأول على ذلك ، حيث يشير ابن الربيع في نظرتة لتخطيط موضع المدينة إلى ذلك مبرزاً مكانة المسجد وموضعه فيها والهدف من ذلك في تكليفه للحاكم ،قوله : "أن يبني فيها جامعا للصلاة في وسطها ليقرب على جميع أهلها"².

يحتوي القصر على مسجد يعرف باسم المسجد العتيق أو مسجد سيدي المسعود ، والذي يقع في وسط المدينة القديمة بتجمع الأعشاش³، كموقع أساسي نظرا للدور الذي يلعبه كنقطة استقطاب وتوحيداً لأطراف المدينة فهو محاط بالبناءات السكنية والسوق .

تأسس هذا المسجد (الصورة رقم 08) على يد السيد المسعود بن محمد بن الشابي سنة (975هـ/1597م) الذي قدم من الجريد إلى سوف، ولما سمع أن أهل سوف يتبينون على كل ما رأوه أو سمعوه قرر الذهاب إليهم وحين وصل أرض سوف ثم اللجة ثم الزقم وما قاربها، استضافه سيدي أحمد بالزقم ثلاثة أيام وبعدها اتصل بسيدي عمر الذي كان كفيف البصر، فأكرمه الناس ومكث هناك شيئاً يعلم الناس أمور الدين⁴ .

1- خالد محمد مصطفى عزب ، تخطيط وعمارة المدن الإسلامية ، سلسلة كتاب الأمة ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، الدوحة 1997 ، ص 49

2- ابن أبي الربيع، المصدر السابق ص 192

3- التصميم العمراني للقصر ينسجم مع طبيعة المدينة الإسلامية التي يتمحور نسيجها العمراني حول المركز الذي يمثله المسجد، ولم يخرج عن أسلوب التخطيط العمراني لبناء المدينة الإسلامية ، ومن الملاحظ أنه يتوسط بل من الأعشاش و أولاد أحمد باعتبارهما النواة الأولى لتعمير وادي سوف أن المصاعبة كلن تأسيسها بعد بناء المسجد أي بعد القرن 17 م 11هـ

4- لوحة بالمسجد الجامع انظر الصورة رقم 08 أنظر ابراهيم مياسي المرجع السابق ، ص 163

الفصل الأول ————— المنشآت الدينية

وارتحل البوادي ثم نزل موضع تكسبت ، لينتقل الى وادي سوف "الأعشاش" فاستضافه العث بن عمر اليربوعي فمكث سيدي المسعود مدة يعلم الناس ودعاهم لبناء هذا المسجد بوسط سوق الوادي وأتم بنائه أبناؤه ليعتبر أول مسجد في الوادي ثم ذهب إلى تغزوت ليعود إلى اللجة و أقام بها زمنا ليرجع إلى الجريد¹ . (الصورة رقم 08).

شهد المسجد ترميما يعود إلى سنة 1350هـ-1930م ، لكنها لم تغير من ملامحه الأولى وظل في صورته الحالية امتدادا لما كان عليه في الماضي.

تخطيط المسجد (المخطط رقم 01)

اتخذت الجوامع العتيقة في الصحراء أشكالا مختلفة، فمنها المستطيلة الشكل عرضها أكبر من عمقها، أو المستطيلة عمقها أكبر من عرضها ، أو ذات شكل غير منتظم ، وأهم ما يلاحظ عنها أنها قد تكون خالية من الملحقات الأخرى مثل الصحن الميضاء ، وبالتالي فهي التي تحدد الهيكل العام للمساجد الصحراوية ، كما تتميز بأضلاعها الغير متساوية وعدم استقامة جدرانها واختلاف سمكها من مكان إلى آخر كما تنعدم فيها الزوايا القائمة ، وهي إحدى سمات العمارة الصحراوية وتكاد تكون ظاهرة عامة بمناطق الجنوب الجزائري.

يتكون الجامع العتيق بوادي سوف من بيت للصلاة وصحنين و ميضاء وثلاث غرف ، يشغل المسجد مسطحا مستطيلا مساحته 824م² (38مx25م) ، غير أن المدخل الرئيسي جزؤه الجنوبي ينقص من الصحن الأول بـ 40م² إلى جانب أجزاء أخرى ، (المخطط رقم 01) لتعوض في الجهة المقابلة لبيت المأموم والحارس 28م² ، نلج إليه من عدة أبواب فمن جهة الشمال نلج إليه عبر بابين من الحديد ، الباب الأول يتكون من دفتين متساويتين ، بعرض 2.16م ، وارتفاعه 4.32م ، أما الباب الثاني يقع يسار الأول يتميز بأنه أصغر منه بعرض 1.40م ، وارتفاع 3.12م ، وهو مكون كذلك من دفتين متساويتين (الصورة رقم 01) ، نلج إليه عبر البابين إلى الصحن الرئيسي المكون من ميضاء ومجموعة من الغرف ومنه نستطيع رؤية مؤذنتين (الصورة رقم 14) ، يلي الصحن

1- لوحة بالمسجد الجامع ، أنظر ابراهيم مياسي المرجع السابق ، ص 164

الفصل الأول ————— المنشآت الدينية بابين خشبيين يؤديان إلى بيت الصلاة لهما نفس المقاسات يتكونان من دفتين متساويتين عرضهما 2م وبارتفاع 2.90م ، غير أن الباب الأيمن يحتوي على باب ثانوي في دفته اليمنى بعرض 0.81م وبارتفاع 1.88م ويرتفع عن الباب الرئيسي بـ 0.18م. (الصورة رقم 04-05).

أما من الجهة الجنوبية نلج عبر بابين من حديد لهما نفس الشكل والمقاسات يتكونان من دفتين متساويتين ، عرض كل باب 1.52م وارتفاع 2.40م، نجد بعديهما صحنًا ثانويًا وسلم يؤدي إلى سطح المسجد ، و يمكننا رؤية مُذنبتين من هذا الصحن .أي أن المسجد يتكون من أربعة مآذن . (الصورة رقم 15).

-بيت الصلاة(المخطط رقم 01)

ذات شكل مستطيل عرضه أكبر من عمقه مقاساته (24م x 20م)، وارتفاع خمسة أمتار، متبعة في ذلك نمط الجامع الأموي بدمشق والمسجد الأقصى بالقدس ومسجد عمرو بالفسطاط وجامع بن طولون بالقاهرة ، واعتقد أن البناء أراد من وراء ذلك إعطاء فرصة لعدد كبير من المصلين للانضمام إلى الصف الأول لأنه يتلاءم وعادات المنطقة المستقاة من الدين الحنيف ، ولاسيما أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يحث المسلمين على التقدم إلى الصف الأول بقوله : "الشهداء : الغرق والمطعون و المبطون والهدم ، وقال: ولو يعلمون ما في التهجر لاستبقوا ، ولو يعلمون ما في العتمة والصبح لأتوهما ولو حبا، لو يعلمون ما في الصف الأول لاستهموا " ، وقوله كذلك "تقدموا وائتموا بي ، وليأتكم بكم من بعدكم ، لا يزال قوم يتأخرون حتى يؤخرهم الله "، وأهم المكونات المعمارية مايلي:

-الدعامات والأعمدة (الصورة رقم 02-03)

الصحن يتكون من دعامات أسطوانية الشكل عددها خمسة وخمسين دعامة اسطوانية بمحيط مترين ، ثمانية مقابلة لجدار الإمام غير انه تنقص الدعامة الخامسة خلف الحراب ويعود ذلك لكبر القبة التي تعلو المحراب وما يلاحظ أنها خالية من القواعد ، غير أنها مزودة بتيجان تفصل بين الدعامة والعقد.

الفصل الأول _____ المنشآت الدينية

أما البلاطات بقياس 2م أي المسافة بين دعامة وأخرى ، ماعدا بلاطات جدار القبلة فهي 2.50م، لاحتوائها على القبة. (المخطط رقم 01) ومن مميزات دعامات المسجد الخشونة وكثرة العدد مقارنة بالمساحة التي تشغلها ، والسبب من وراء ذلك يكمن في إمكانية حمل السقف بكل سهولة والتخفيف من حدة ثقله وتوزيعه على كافة العناصر المعمارية دون استثناء ، كما يضيف على المسجد جوا من القدسية وهو ما يبعث في روح المصلي نوعا من الرهبة والخشوع. (الصورة رقم 03).

-العقود (الصورة رقم 02/03)

فهي عنصر معماري له وزنه في العمارة الدينية الإسلامية ، وتتمثل وظيفته في توزيع ثقل السقف على الركائز والجدران ، وقد كانت سقوف المساجد الأولى مثل مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم ومسجد البصرة والكوفة و واسط تركز مباشرة على الأعمدة والدعامات¹ ثم لجأ المهندس المسلم إلى استعمال العقود فكان أول في مسجد قبة الصخرة ،، وبرزت أنواع عديدة من العقود ، فاستعمل في البداية العقد النصف دائري ، ثم العقد المدبب الذي استعمل بصفة خاصة في المباني الدينية الإيرانية ، أما العقد الحدوي ، فقد أصبح من اختصاص الأندلس وبلاد المغرب².

وبالمسجد العتيق اهتم البناء بانجاز العقد الحدوي (الصورة رقم 03/02) في كل أماكن المسجد ، لسهولة انجازه حيث لا يتطلب سوى جريد النخل الأخضر حتى يتسنى انحنائها ، ثم توضع في المكان المراد بناؤه وتغطى بطبقة من الجبس تليها الحجارة ، ثم تترك لتجف عندها ينزع الجريد . وتقدر مقاسات العقود في المسجد العتيق ب : 1.40م بالنسبة للارتفاع وبقطر 1.80م

، وعرض 0.52م (الصورة رقم 03/02) ، وهي على هيئة حدوة الفرس عددها مائة وثمانية عشر عقدا . (المخطط رقم 01)

1- أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي : صحيح البخاري ، ج1، موفم للنشر ودار الهدى للنشر والتوزيع ، عين مليلة ، 1992، ص253

2- خير الدين وانلي ، المسجد في الإسلام ، أحكامه آدابه وبدعة ، ط4، المكتبة الإسلامية ، عمان ، 1998، ص86

الفصل الأول المنشآت الدينية

وتحتوي على سبعة عشر بلاطة منها تسع بلاطات باتجاه جدار القبلة ، وثمانية موازية للمحراب ، أما البوائك فعددها أربعون (الصورة رقم 03) (المخطط رقم 01).

يعتمد على خمسة وثلاثين عمودا بمقاس (0.60مx0.60م) متوازية مع الدعامات وينقص العمود الذي حل موقعه المحراب (المخطط رقم 01) .

يولج إلى بيت الصلاة عبر أربعة أبواب من الخشب في اتجاهين مختلفين متقابلين في الجدار الشمالي والجنوبي .

الأول يفتح على البلاطة الثالثة للمسجد (المخطط رقم 01) -تعلق إلى يساره لوحة تخص نبذة عن تأسيس المسجد ومؤسسه (الصورة رقم 08) - يقابله باب ثان في الواجهة الأخرى بنفس التصميم و المقاسات ، يتكونان من دفتين متساويتين عرضهما 2م وبارتفاع 2.90م وينفردان باحتوائهما على باب ثانوي في دفته اليمنى بعرض 0.81م وبارتفاع 1.88م ويرتفع عن الباب الرئيسي بـ0.18م.. (الصورة رقم 04)

أما الباب الثالث يفتح على البلاطة السادسة ، يقابله باب رابع في الجهة الأخرى ، وب نفس المقاسات والتصميم للباب الأول والثاني. (الصورة رقم 05)

يوجد يمين المنبر خزانة تحتوي على مجموعة من الكتب الدينية من دفتين متساويتين بمقاس (1.30م x 2.10م) .. (الصورة رقم 09)

-الفتحات والكوات

تحتوي بيت الصلاة على كوات في جدار القبلة قياسها 3م طولا و0.15م عرضا على يسار المحراب ويمين الخزانة، إلى مجموعة كوات خشبية متفرقة على بعض الدعامات ، وتستعمل كلها لوضع الشمع والمصاحف .

و بما أن الهواء والضوء ضروريان للحياة ومع ارتفاع في درجات الحرارة فالسبيل إلى تأمينهما يستوجب اللجوء إلى عناصر معمارية تساهم في تكييف الهواء داخل المباني، لذا لجأ المعماري السوفي إلى استخدام الفتحات والنوافذ لخلق مجري هوائي داخل العمائر الدينية.

الفصل الأول المنشآت الدينية

يحتوي بيت الصلاة على خمسة نوافذ من الخشب وتتكون من دفتين متساويتين اثنان في الجهة الشمالية وثلاثة في الجهة الجنوبية باتجاه الصحن الرئيسي ، لها نفس التصميم ، عرضها 1.10م ، وارتفاعها 2.02م ، وترتفع عن الأرض بنحو 0.75م.. (الصورة رقم 07/06)

أما الجدار الغربي يحتوي على أربعة فتحات سداسية الشكل لاستقطاب كمية من الضوء وتهوية بيت الصلاة على مدار اليوم .

بيت الصلاة مشيد من مادة الجبس الذي يحافظ على اعتدال درجة الحرارة ، حيث تتميز بالدفء شتاء و الاعتدال صيفا.

-المحراب: (المخطط رقم 01) (الصورة رقم 10)

لقد أثار هذا العنصر المعماري- باعتباره أحد أهم العناصر المعمارية في العمارة الدينية الإسلامية – جدلا كبيرا أوساط الأثريين ومؤرخي الفن حول أصله وظهوره لأول مرة كعنصر معماري متميز، فمن حيث أصله يرى فريق أنه أستلهم من الحنية التي تتقدم الكنائس ، وفريق آخر يرى انه مستلهم من الحنيات البوذية ، ويربطها آخرون بمحاريب البدع اليهودية¹ أما من حيث ظهوره في العمارة الدينية الإسلامية فقد أرجعه أغلب الباحثين إلى عهد عمر بن عبد العزيز بالمسجد النبوي الشريف في المدينة المنورة فيما بين(88-90هـ/708-710م)²

لكن أحمد فكري يعترض على هذا الافتراض ويرى أن أول محراب بني كعنصر معماري كان بجامع القيروان في حدود(50هـ/970م)³.

هو مكان يتقدم بيت الصلاة من القبلة (قبلة المسجد) أي الجدار الذي يقوم فيه المحراب والذي يتجه إلى مكة. أما المحراب فهو التجويف في جدار القبلة ، والمحاريب —————

1-بلحاج بن بنوح معروف ، العمارة الدينية الإباضية بمنطقة وادي ميزاب ، أطروحة لنيل دكتوراه دولة ، جامعة تلمسان ، 2002، ص212

2-بلحاج بن بنوح معروف ، نفس المرجع ، ص212

3-أحمد فكري ، المسجد الجامع بالقيروان ، مطبعة المعارف ومكتبتها ، القاهرة ، 1996، ص56-57

الفصل الأول ————— المنشآت الدينية

نوعان (مسطحة أو مجوفة) ، والمحاريب المجوفة فمنها ما هو ذو تجويف نصف دائري ، ومنها ما هو تجويف قائم الزوايا ، ومنها محاريب مجوفة كثيرة الأضلاع¹ . وقد ذكر تعالى المحراب في آيات قرآنية عديدة منها قال تعالى: "...فخرج على قومه من المحراب"² .

يحتل المحراب وسط جدار القبلة ، وان كان محراب الرسول صلى الله عليه وسلم في المدينة يبتعد عن الوسط ب12م باتجاه الشرق فهو يحدد القبلة ويشير إلى اتجاه الكعبة³ . ومحراب المسجد العتيق الذي هو قيد الدراسة لا يحتل وسط جدار القبلة بل يتجه نحو الشرق بنحو مترين ، أما من حيث شكله فهو مجوف تعلوه نصف قبة ملساء يبلغ ارتفاعه 2.72م وبعرض 1.51م ، وعمقه 0.62م ، يتواجد في الأسكوب الخامس ، له عقد محدد مزخرف بأشكال هندسية سداسية الشكل تشبه خلية النحل تتضمن معظمها نجوم ملونة. هذا العقد يعتمد على أربعة أعمدة ، ثنائية (المخطط رقم01) (الصورة رقم10)

-المنبر(المخطط رقم01) (الصورة رقم11)

كان المنبر أول عنصر معماري يضاف إلى المسجد أو الجامع ، ففي البداية كان الرسول صلى الله عليه وسلم يستند إلى جذع نخلة عندما يلقي خطبته على المصلين ، فأوعز إليه تميم بن الداري يصنع منبرا كما في كنائس الشام وتبنى. فقبل الرسول صلى الله عليه وسلم الفكرة فأمر أن يصنع له منبر من الخشب ذي ثلاث درجات ، وتبعه المسلمون من بعده ، وأضافوا إليه درجات أخرى ، وخصصوا له —————

1- يحيى وزيري، موسوعة عناصر العمارة الإسلامية، الكتاب 2، مصر، 1999، ص11

2-سورة آل عمران، الآية 39

3-جمعة أحمد قاجة، موسوعة فن العمارة الإسلامية، ط1، دار الملتقى للطباعة والنشر، بيروت، 2000، ص325

الفصل الأول ————— المنشآت الدينية

فتحة على يمينه يدخلها كل الأيام ماعدا يوم الجمعة والأعياد¹

اشتقت الكلمة من نبر، وانتبر الشيء بمعنى ارتفع، والمنابر أنواع من حيث مادة الإنشاء، منها المنابر الخشبية والرخامية والحجرية² ويعتبر منصة تسع لوقوف وجلوس خطيب الجمعة وتقع قرب المحراب تعلوها قبة صغيرة أو جوسق³ وقد عرف في العمارة الإسلامية خلال العهد الأموي إذ أدخل كعنصر معماري بجوار المحراب على يمينه⁴. وقد ذكره بن سعد في طبقاته أنه لما صنع المنبر الشريف أمر النبي صلى الله عليه وسلم بأن يدفن هذا الجذع تحت منبره أو جعل في سقف المسجد⁵ ويذكر المقرئ في خطبه أنه بلغ سيدنا عمر بن الخطاب أن سيدنا عمر ابن العاص - رضي الله عنهما - ، اتخذ في مسجده بفسطاط مصر ، الذي كان يسمى "تاج الجوامع " منبرا من خشب⁶

أما ابن بطوطة فقد أشار إلى لفظ المنبر عندما كان في مكة سنة 726 هـ عندما حضر صلاة الجمعة في المسجد الحرام ، وقد نقل لنا هذا الرحالة صورة قلميه عن المنبر النقال في المسجد المذكور أثناء كلامه عن خطبة الجمعة⁷

أما منبر الجامع العتيق بوادي سوف يتميز بأنه متحرك يعتمد على عجلات لتسهيل عملية تحريكه لأنه لم يخصص له مكان، وهو عبارة عن أثاث صنع من الخشب يتكون من ستة درجات أما بالنسبة لجلسة الخطيب فهي مربعة الشكل تعلوها

1-عفيف بهنسي، الفن العربي الإسلامي في بداية تكوينه، دار الفكر ، القاهرة ، بدون تاريخ، ص14

2-بحي وزيري ، المرجع السابق، ص27

3-فريد الشافعي ، المرجع السابق، ص491

4-محمد حسين جودي، العمارة العربية الإسلامية، ط1، دار الميسرة، عمان، الأردن، 1998، ص78

5-ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج1، دار صادر للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، 1960، ص251

6-المقرئ في ، كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، ج2، مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع ، القاهرة، مصر ، بدون تاريخ ، ص247

7- ابن بطوطة ، رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظر في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، 1992 ، ص ص99-100

الفصل الأول المنشآت الدينية

درجة يجلس عليه الخطيب للاستراحة ما بين الخطبتين ، أما مقاساته تقدر بـ: 0.78 م بالنسبة للعرض ، و2.35م للارتفاع أما العمق 2.46م ، ويرتفع عن الأرض ب0.08م. يتميز مدخله بوجود عمودين ينتهيان بعقد نصف دائري ذو زخرفة ورقية بسيطة ، أما على الجانبين فهو مكون من أشكال هندسية متصلة بعضها البعض وأعمدة صغيرة على استقامة واحدة في نواحي مختلفة من المنبر لترتيبها (الصورة رقم 10) .

-القبة (المخطط رقم 01) (الصورة رقم 12-13)

نوع من البناء المستدير مقوس ومجوف ، وخيمة صغيرة أعلاها مستدير ، في المصطلح الأثري المعماري هي بناء محدودب أشبه بكرة مشطورية من وسطها أو بناء دائري مقعر من الداخل مقبب من الخارج¹.

والقبة من الملامح التي تتميز بها أغلب المؤسسات الدينية عند المسلمين ، فكان أول ظهور للقبة في العمارة الإسلامية في مسجد قبة الصخرة ، أما ظهورها في بلاد المغرب فكان في جامع القيروان² ثم انتشر هذا النوع من القباب في معظم الجنوب الجزائري ، فقباب أربطة الجنوب القسنطيني متأثرة بالطابع التونسي هذا الأخير الذي تأثر بدوره بالقباب ذات الرقبة المثمنة بالمباني التذكارية الرومانية³.

وترمز القبة إلى الاتجاه الرأسي للمكان المقدس نحو السماء ، إذ أن للمسجد اتجاهان ، اتجاه أفقي نحو الكعبة واتجاه رأسي نحو السماء ، وقد رمز المعماري المسلم إلى الاتجاه الأخير بالقبة⁴

يحتوي المسجد العتيق على قبة تقع أعلى المحراب بقطر 5.50 م، وعمق يقارب 4م، تتخللها ثمانية فتحات للتهوية والإنارة، أخذت شكل نصف دائري بثمانية أضلع، جاءت في البلاطتين الخامسة و السادسة الموازية لجدار القبلة، _____

1- عاصم محمد رزق، معجم مصطلحات العمارة والفنون، مكتبة مدبولي للنشر، مصر، 2000، ص 121- 122
2- أحمد فكري، المرجع السابق، ص87

3- 4- Commandant cauet, Les Marabouts, Rev.Afr. 1923, N64, p294 p307
عكاشة، القيم الجمالية في العمارة الإسلامية، دار المعارف، القاهرة، 1981، ص101

الفصل الأول _____ المنشآت الدينية

مجردة من الزخرفة من الخارج مثل القباب التي انتشرت في افريقية¹ و رقبته مئنة مثل معظم القباب في الجنوب الجزائري، فقباب أربطة الجنوب القسنطيني متأثرة بالطابع التونسي، هذا الأخير الذي تأثر بدوره بالقباب ذات الرقبة المئنة بالمباني التذكارية الرومانية² (الصورة رقم 12-13).

-الصحن(المخطط رقم 01) (الصورة رقم 14-15)

الصحن في العمارة الدينية كالمسجد هو مساحة إضافية مكشوفة تتصل بالمسجد يستخدمها المصلون عند كثرتهم في الصلوات الجامعة، ولا شك أن ارتفاع درجة الحرارة في المنطقة أوجب إقامة مساحة مكشوفة لحماية الأماكن المسقوفة من حرارة الشمس وتزويدها بالتهوية.

والصحون في العمائر الدينية تكون معظمها ذات مخطط إما عرضي أي أن عرضها أكبر من عمقها، أو طولي أي أن عرضها أقل من عمقها.

يأتي الصحن في معظم العمائر الدينية متقدما بيت الصلاة على محور المحراب، ويمكن أن يكون ذا مخطط غير منتظم الشكل، وفي حالات نجد أكثر من صحن في المسجد الواحد. يحتوي المسجد العتيق بوادي سوف على صحنين بمخطط طولي عرضهما أقل من عمقهما. لكل منهما رواق محاذي لبيت الصلاة، بسبعة دعائم أسطوانية لها نفس مميزات دعائم بيت الصلاة.(المخطط رقم 01).

الأول وهو الصحن الكبير في الجهة الجنوبية للمسجد يمثل المدخل الرئيسي للمسجد، بمساحة تقدر بحوالي 2م144، عرضه ثمانية أمتار وطوله ثمانية عشر مترا، يولج إلى الصحن عبر بابين من الحديد يقعان في الجهة الشرقية للمسجد، الباب الأول يتكون من دفتين متساويتين، بعرض 2.16م، وارتفاعه 4.32م أما الباب الثاني _____

1-زكي محمد حسن، في الفنون الإسلامية، ج7، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان، 1981، ص48
2-أنظر Commandant cauet, Les Marabouts .op,cit,P264 P307

الفصل الأول _____ المنشآت الدينية

يقع يسار الأول يتميز بأنه أصغر منه بعرض 1.40م، وارتفاع 3.12م، وهو مكون من دفتين متساويتين. نلج عبر البابين إلى الصحن الرئيسي المكون من مiazza ومجموعة من الغرف (المخطط رقم 01) (الصورة رقم 14)

أما الصحن الثاني(الصغير) يقع في الجهة الشمالية للمسجد وهو أقل مساحة من الأول حيث تقدر بـ 2م84، عرضه أربعة أمتار، وبطول واحد وعشرين مترا، يحتوي على سلم يؤدي إلى سطح المسجد (الصورة رقم 15)، يولج عبر بابين من حديد لهما نفس الشكل والمقاسات يتكونان من دفتين متساويتين، عرض كل باب 1.52م وارتفاع 2.40م. يحتوي على سلم يؤدي إلى سطح المسجد يتكون من اثنان وعشرين درجة بمقاس (0.25مX0.25م) نلج إليه عبر باب في

الأسفل بعرض 0.85م وارتفاع 1.95م يتميز بالضيق بنحو 0.90م ، ليتسع بعد الدرجة الثالثة عشر بنحو مترين ، ثم مدخل آخر بعرض 1.25م ، وارتفاع 2.20م، لينتهي بعقد دائري.

-المئذنة(المخطط رقم01) (الصورة رقم16-17-18-19)

تعد من العناصر المعمارية المتميزة في عمارة المساجد ، وأصبحت رمزا يدل على قيام المسجد ويزيد من شموخه ورفعته

الأذان لغة: معناه الإعلام، قال الله تعالى: " وأذن في الناس بالحج¹ أي أعلمهم ،ومعناه في الشرع،الإعلام بدخول وقت الصلاة بذكر مخصوص² يستعمل كحقيقة عرفية في النداء للصلاة أو الإعلان وقد أطلق المسلمون على المكان الذي يعلن منه الأذان اسم المئذنة أو الصومعة أو المنار،وقد شاع استخدام أهل المغرب كلمة الصومعة للدلالة على المئذنة،وما يزال المصطلح سائدا في شمال إفريقيا حتى وقتنا الحالي⁴

1-سورة الحج، الآية 27

2-عبد الرحمن الجزيري ،كتاب الفقه على المذاهب الأربعة ،قسم العبادات ،ج1،دار الفكر ،بيروت ،لبنان ،ص310

3-يحيى وزيري، المرجع السابق، ص101

4-عبد العزيز سالم ، المآذن المصرية ، نظرة عامة عن أصلها وتطورها منذ الفتح العربي حتى الفتح العثماني ، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر ، الإسكندرية ، مصر ، بدون تاريخ ،ص3

الفصل الأول _____ المنشآت الدينية

ولكي نفسر معني كلمة "منارة" يجب تفسير كلمة " منار " وهي مشتقة من فعل "أنار " أي "اشتعل وأضاء " ، وقد استعمله المؤرخون والجغرافيون المغاربة¹.

ووظيفة المئذنة هي إبلاغ صوت المؤذن لكافة المسلمين في المدينة من مكان مرتفع ، إذ كان يقام من أعلى سطوح المساجد إقتداء بمؤذن الرسول صلى الله عليه وسلم².

وتعتبر وظيفة المؤذن من أهم أعمال القائمين على المسجد ولا تقل أهمية عن وظيفة الإمام فعليها تتوقف الصلاة ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "المؤذنون أمناء والأمناء ضمنا فرحم الله الأئمة وغفر للمؤذنين " ، ذلك أن المؤذن لا بد أن يكون عدلا أميناً عارفا بأوقات الصلاة ، وأن يكون حسن الصوت وعارفا بمنازل القمر³ ،وقد امتازت المآذن الموحدية بتناسب هندسي واضح ، قد قدر بالخمس⁴.

يحتوي المسجد العتيق على أربعة مآذن (الصورة رقم16-17-18-19) تقع في الزوايا الأربع للمسجد ،تتميز بنفس المقاسات العامة ، تتكون من بدن و جوسق . قاعدة البدن مربعة الشكل (2.90م x 2.90م) وبارتفاع ثلاثة أمتار بداية من سطح المسجد نلج إليهم عبر سلم يتكون من خمس درجات تؤدي إلى مدخل بعرض 0.50 م يدخل عبره المؤذن إلى الداخل ، وينتهي بدن المئذنة الأولى (الصورة رقم16) في الركن الشمالي الغربي- يمين جدار القبلة- بمثلثات تعلو أركانها الأربع مثلها مثل المئذنة الثالثة(الصورة رقم18) التي تقع في الركن الجنوبي الغربي ، أما الثانية (الصورة رقم17) تقع في الركن الشمالي الشرقي ينتهي بدنها بزخارف لتضفي عليها _____

1-أطلقه البكري على منار سوسة اسم منار أنظر البكري أبو عبيد الله ، كتاب المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب ،نشره

ديسيان ،الجزائر ، 1913،ص34 ،وابن بطوطة . وابن جبير ، على منار الإسكندرية أنظر بن بطوطة ،نفس المرجع ،ص21 .ابن جبير ، رحلة ابن جبير ،دار صادر ، بيروت ،لبنان ، بدون تاريخ ، ص14

2- بلحاج بن بنوح معروف ،المرجع السابق ،ص217

3- عبد الرحمن الشيرزي ، كتاب نهاية الرتبة في طلب الحسبة ، نشره السيد الباز العويني ، القاهرة ، 1946، ص 111

4- عزوق عبد الرحمن ، القباب والمآذن في العمارة الإسلامية ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الساحة المركزية ، بن عكنون ،الجزائر ، 1996 ،ص53

الفصل الأول _____ المنشآت الدينية

نوعاً من الجمال يعود لإبداع البناء السوفي ، أما المئذنة الرابعة في الركن الجنوبي الشرقي فهي خالية من النقوش أو الزخارف (الصورة رقم 19) .
يحتوي بدن كل مئذنة من المآذن الأربعة على جوسق مربع الشكل في الأولى والثالثة والرابعة بمقاس (2.60مx2.60م) ، أما الثانية فهي ذات شكل دائري بقطر 2.60م ويبلغ ارتفاعها خمسة أمتار. وتنتهي بقبة قطرها مترين وعمقها 0.80م . تعتمد قبابها على ثمانية أعمدة مقاسها (0.50مx0.50 م) أغلبها تنتهي بعقود نصف دائرية أو محدبة حيث أنها تختلف اختلافاً واضحاً من حيث الشكل والتصميم الهندسي للجوسق والفتحات التي تتخللها المآذن الأربعة (الصور رقم 16-17-18-19) .

-الميضاء

وهي بيت الضوء ، والوضوء معناه الحسن والنظافة ، واسم مصدر ، لأن فعله إما يكون توضأً فيكون مصدره للتوضؤ ، وإما يكون مصدره الوضاءة -بكسر الواو - ، فالوضوء اسم للنظافة أو للوضاءة ، ومعناه في الشرع استعمال الماء في أعضاء مخصوصة ، وهي اليدين والوجه.¹

يحتوي المسجد العتيق على ميضاء واحدة ، تقع في الجهة الجنوبية للصحن الأول ، مقسمة إلى قسمين :

غرفة للوضوء ذات شكل مستطيل ، بطول 6م ، وعرض 5م . يدخل إليها عبر فتحة باب عرضه 0.97م ، وبطول 2م ، يتوسط الميضاء خزان للماء مبني بالإسمنت مقاسه (2.30م x 1.10م) ، مزود بعيون تحاط به على كل الجوانب ، ثم يحاط برصيف من الإسمنت للجلوس أثناء عملية الوضوء .

أما الغرفة الثانية تتقدم الأولى بالنسبة للمدخل الرئيسي ، مستطيلة الشكل ، طولها 5م وعرضها 2.5م تحتوي على سبعة مراحيض للاستتجاء فقط . (المخطط رقم 01، الصورة رقم 14) .

1- عبد الرحمن الجزيري ، المرجع السابق ، ص 46-47

الفصل الأول _____ المنشآت الدينية

وهناك ملحقات أخرى من الغرف واحدة خاصة بالإمام تستعمل أثناء الاجتماعات أو لفض النزاعات أو للفتاوى ، وأخرى لتدريس وتحفيظ القرآن الكريم ، وغرفة ثالثة يجمع فيها الأثاث الغير مستعمل ، تقع في الجهة المقابلة للمدخل الرئيسي . (المخطط رقم 01، الصورة رقم 14) .

الفصل الأول ————— المنشآت الدينية

ثانيا : الزاوية

يقصد بالزوايا في الغرب الإسلامي، الأماكن المخصصة لإرفاق الواردين وإطعام المحتاجين من القاصدين¹، وتعرف بالمشرق بالربط أو الخانقاوات، وهي منشآت مخصصة لإقامة المنقطعين للعبادة والمتصوفين، أما في العهد العثماني فيطلق عليها اسم التكايا² اشتق لفظ الزاوية من فعل زوى أو زوأ، ويقال انزوى القوم بعضهم إلى بعض إذا تدانوا وتضاموا³، ولذلك أطلقت كلمة الزاوية على حلقة التدريس بالمساجد⁴ أما الزاوية بالمغرب فهي عبارة عن تجمع من البنايات ذات الطابع الديني، مفتوحة الأبواب للفقراء والمساكين وعابري السبيل والمسافرين. ومن بين أهدافها أيضا تحفيظ القرآن الكريم للطلبة وتعليمهم كل ما يتعلق بالدين الإسلامي الحنيف لذلك تضم غرفا لإيواء المسافرين والطلبة، بالإضافة إلى مسجد تقام فيه الصلاة وأحيانا تشمل ضريح صاحب الطريقة أو مجموعة من الأضرحة تضم رفاه أفراد عائلته⁵.

-موقع الزاوية(المخطط رقم02)

زاوية سيدي سالم بالوادي هي حلقة من شبكة الزوايا التابعة للطريقة الرحمانية التي هي أوسع الطرق الصوفية انتشارا في القطر الجزائري خلال أزيد من قرنين، تقع الزاوية في الجزء الشرقي للأعشاش. (المخطط رقم02).

- 1-ابن مرزوق، محمد التلمساني، المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن، دراسة وتحقيق ماريّا خيسوس بيغيرا، تقديم محمود بوعباد، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص413
- 2- نجيب محمد مصطفى العمارة في العصر العثماني، تاريخها، فنونها وأثارها، مطابع الأهرام التجارية، القاهرة، 1970، ص264
- 3-ابن منظور، لسان العرب، المصدر السابق، م4، ص363
- 4-المقريزي، المصدر السابق، ص255
- 5-نسيب، محمد، زوايا العلم والقرآن بالجزائر، دار الفكر، دمشق، بدون تاريخ، ص27-28

الفصل الأول ————— المنشآت الدينية

في سنة 1210هـ بدأ تأسيس هذه الزاوية بالوادي على يد رائد الطريقة العزوزية الرحمانية في وادي سوف الوالي الصالح الشيخ سيدي سالم بن محمد الإدريسي الحسيني المولود بالوادي)

1186هـ/1277هـ) (الصورة رقم32)، بإرشاد من شيخه سيدي علي بن عمر مؤسس زاوية طولقة التي هي أم جل الزوايا الرحمانية الأخرى في الشرق والوسط والجنوب الجزائري .
وخلال القرنين السابقين قامت الزاوية بوظيفتها التربوية الروحية و رسالتها التعليمية والاجتماعية بفضل سلسلة شيوخها الذين أشرفوا على إدارتها بعد وفاة مؤسسها من أبنائه وحفدته ، وساد سهم هو رئيس مشيختها الحالي الذي تولى شؤونها منذ سنة 1978م.
زيادة على دور مسجدنا بما يقام فيه من صلوات يومية بما في ذلك صلاة الجمعة وحلق تلاوة القرآن الكريم والذكر والدروس اليومية ، فقد تخرج من مدرستها قرآنية آلاف من حملة القرآن الكريم، حيث كان الطلبة يؤتونها من الآفاق القريبة والبعيدة فيقيمون بها في نظام داخلي يتكفل بإيوائهم وإطعامهم وتعليمهم وتربيتهم ...ومن ناحية أخرى لقد كانت الزاوية دوما ولا تزال قبلة للعلماء الوافدين على المنطقة ، وبها مكتبة ثرية يستفيد منها الطلبة الجامعيون والباحثون والقراء.

تتكون الزاوية من مسجد يعلوه غرف للطلبة وضريح ومكتبة متنوعة دينية علمية وتاريخية تحتوي على 2000 كتاب ، و 50 مخطوط و 40 رسالة ماجستير وعدد من رسائل الدكتوراه و يتوافد عليها الطلبة والباحثين ، تعلوها غرف عابري السبيل وبيوت لشيخ الزاوية وأبناء عمومته ومئذنة ، تتكون هذه المباني من طابقين علو الطابق الأرضي خمسة أمتار ، أما الطابق الأول أربعة أمتار ، خضعت أجزاء الزاوية للترميم حيث تجدد بنائها كليا ما عدا المئذنة سنة 2005م . (المخطط رقم02).

الفصل الأول _____ المنشآت الدينية

- المسجد

يقع المسجد في الجهة الجنوبية للزاوية ، تبلغ مساحته 180 م² ، يتكون من:

-بيت الصلاة (المخطط رقم02)(الصورة رقم21)

شكلها مربع مساحتها 120م (12م x 10م) ، وارتفاعها خمسة أمتار ، تتكون من أربعة أعمدة أسطوانية الشكل بمحيط 1.30م ، وارتفاع 4.30م تنتهي بتيجان مربعة الشكل، تحمل عقودا نصف دائرية قطرها 2.80م عند البلاطة المقابلة للمحراب و 3.80م في بقية العقود ، وهي المسافة بين عمود وآخر وعمق 0.55م ، يتكون من ثلاث بلاطات مقابلة لجدار القبلة ، ومثلها موازية لجدار القبلة ، وثمانية بوائك ، وعشرة عقود ، كما تحتوي على أربعة خزائن(الصورة رقم 25) بها كتب دينية متنوعة تتكون كل واحدة من دفتين متساويتين ، عرضها 1.30م وارتفاع 2.20م ، اثنين يسار المحراب ، واثنين في الجدار الجنوبي لبيت الصلاة .

-المحراب (المخطط رقم02)(الصورة رقم22)

يتوسط جدار القبلة بعرض 1.25م وارتفاع 2.50م وبعمق 0.85م، مبنية بالرخام يتوسطها حزام كتب عليه آية قرآنية هي : " فخرج على قومه من المحراب فأوحى إليهم أن يسجدوا بكره وعشيا" ، وينتهي بنصف قبة ذات زخارف مختلفة منها السيوف ونجوم متعددة الرؤوس ومثلثات محاطة بحزام من الخطوط المتداخلة والمتناسقة فيما بينها، تعتمد على عمودين ارتفاعهما 1.60م وتاج لكل منهما، وعقد نصف دائري تعلوه زخارف هندسية متمثلة في دوائر ونجوم ، واسم الجلالة "الله" على اليمين واسم الرسول صلى الله عليه وسلم "محمد" على يسار المحراب .

-المنبر (المخطط رقم02)(الصورة رقم23)

تحتوي بيت الصلاة مكانا للمنبر يمين المحراب بعرض 0.90م وارتفاع 2.60م ، وعمق 1.30م ، أما المنبر فهو من خشب متحرك له عجلات لتسهيل عملية نقله
الفصل الأول _____ المنشآت الدينية

بعرض 0.80م وارتفاع 2.5م وعمق 1.60م ، يتكون من ثلاث درجات ، أما بالنسبة لجلسة الخطيب فهي الدرجة الثالثة تعلوها درج يجلس عليه الخطيب للاستراحة مابين الخطبتين
يعلو المنبر لوح على شكل نصف دائرة كتب عليها : " بسم الله الرحمن الرحيم لا إله إلا الله محمد رسول الله "

أما أعلى المحراب والمنبر كتبت آية قرآنية : " بسم الله الرحمن الرحيم -قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خشعون والذين هم عن اللغو والنهي هم للزكاة فعلون " - صدق الله العظيم .
وأسماء الله الحسنى كتبت في فتحة تعلوها نرى من خلالها جوسق وقبة المسجد التي تعلو الطابق الأول " المكتبة. (الصورة رقم24).

-القبة(الصورة رقم26)

تبدأ بجوسق مستطيل الشكل بداية من سقف الطابق الأول كتب في قاعدته كتبت آية الكرسي على الجدران الأربعة ، تقع فوق المحراب والمنبر طوله أربعة أمتار وبعرض ثلاثة أمتار ، أما الجوسق ارتفاعه 1.80م ، ينتهي بقبة في الوسط قطرها 2.90م كتبت على أطرافها الأربعة بالنسبة لسقف الجوسق اسمين للجلالة "الله" واسمين للرسول صلى الله عليه وسلم "محمد" .

وفي الجهة الأخرى للمحراب باب للإمام عرضه 0.80م وارتفاع 2.00م ، للأذان أو لوضع الأغراض الخاصة به.

يتم الدخول إليه عبر بابين من الخشب في الجهة الشرقية لبيت الصلاة عن طريق الصحن(الصورة رقم27) ، بمقاس 2.70م عرضا و2.50م ارتفاعا وجزء علوي ثابت ومتصل بالبابين حتى نهاية الجدار ويتكونان من دفتين متساويتين 0.75م لكل منهما وجزئين ثابتين على طرفيهما. كما يوجد باب ثانوي من الجهة الجنوبية مقاسه (0.90مX2.15م) عن طريق مدخل خارجي من السوق إلى الميضاء ثم يؤدي مباشرة إلى المسجد (المخطط رقم 02).

الفصل الأول _____ المنشآت الدينية

-الصحن(المخطط رقم 02) (الصورة رقم28)

منتظم الشكل طوله 10م ، وعرضه 8م ، ودعامة واحدة مربعة الشكل ب:0.50م لكل ضلع وارتفاع 4.30م ، لها نفس مميزات العقود وتيجان بيت الصلاة ، تتميز بأنها مغطاة ويتم الدخول إليه عبر مدخل بعرض 1.80م وارتفاع 2.20م (المخطط رقم02) (الصورة رقم34) ، على يمين المدخل سلم يؤدي إلى الطابق الأول المؤدي إلى المكتبة.
ومن الملاحظ أن بيت الصلاة و الصحن زودت جدرانها بحزام من الرخام في النصف السفلي لها .

-الضريح(المخطط رقم 02) (الصورة رقم31)

على الجهة اليمنى من الصحن باب خشبي بعرض 0.95م وارتفاع ، 2.20م يؤدي للضريح (الصورة رقم29) كتب فوق الباب : " بسم الله الرحمن الرحيم ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم

ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون " (الصورة رقم 30) ، وفي الجهة اليسرى من الباب مقام عبارة عن لوحة من الرخام تضمنت التعريف بمؤسس الزاوية (الصورة رقم 32). ومقاسات غرفة الضريح واسعة بعرض ستة أمتار وطول سبعة أمتار ،تضم رفاه سيدي سالم مؤسس الزاوية بطول مترين وارتفاع 1.30م وعرضه مترا واحدا ، مغطى بقماش ذا لون أخضر كتب عليه آيات قرآنية مثل آية الكرسي (الصورة رقم 31) في الوسط تمت تغطية الضريح بقبة قطرها من 5.50م إلى 6.50م ذات زخارف ورقية وأشكال هندسية ومع العلم أن جدرانها مغطاة الرخام من كل الجهات ، وكتب على محيط القبة آية قرآنية " بسم الله الرحمن الرحيم الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاج كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور يهدي الله بنوره من يشاء ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شيء عليم " صدق الله العظيم ، سورة النور الآية 34 .

الفصل الأول ————— المنشآت الدينية

-المئذنة(المخطط رقم 02) (الصورة رقم 35)
تقع في الجهة الشرقية للزاوية يسار المدخل الرئيسي للزاوية (المخطط رقم 02)، وهي من أقدم المباني في وادي سوف والوحيدة في أجزاء الزاوية التي لم تتعرض للترميم وهي مربعة الشكل يبلغ ارتفاعها 30م (الصورة رقم 35) ، وتتكون من قاعدة وبرجين بمقاساتها عند القاعدة خمسة أمتار ينتهي في أركانه الأربعة بشرفات بقياس خمسة أمتار ونصف ، وعند البرج الأول أربعة أمتار.
أما البرج الثاني فعبارة عن جوسق بمقاس (2.8مx2.8م) وعرض الحائط 0.60م ، ومترين ارتفاعا ينتهي بقبة بمحيط 1.40م وعمق 0.75م.
ندخل إلى المئذنة عبر مدخل عرضه 0.85م وارتفاع 1.70م، ويصعد المؤذن سابقا الى الجوسق عبر سلم دائري حول محور ارتكازي مربع الشكل بمقاس متر واحد لكل ضلع ، يتكون السلم من 110 درجات ، بمقاس 0.25م في الارتفاع ، و0.30م في العرض ،تعتمد على أربعة أعمدة مربعة الشكل بقياس 0.60م للضلع. ويبلغ ارتفاع الحائط لكلا للشرفتين 0.70م ولكل شرفة مدخل ارتفاعه 1.80م وعرض 0.80م ،فتخت في المئذنة فتحات وكوات بارتفاع 0.80م وعرض 0.45م (الصورة رقم 35) للإضاءة وإدخال الضوء .

الفصل الأول ————— المنشآت الدينية

خلاصة الفصل الأول

من خلال الدراسة الوصفية التحليلية للعمارة الدينية لمدينة وادي سوف العتيقة ، تمكنا من استخلاص جملة من النتائج أهمها ما يلي :

- أن المدينة تتكون من ثلاث تجمعات سكنية أساسية والأقدم على ما يبدو أولاد أحمد والأعشاش لأن المسجد العتيق يتوسطهما ،ثم المصاعبة.

- توجد بها مختلف المباني العمومية ذات الطابع الديني ففيها المسجد، الذي يعتبر النواة الرئيسية للمدينة، لأن التجمعات الرئيسية تتموقع حوله مثل ما هو الشأن بالنسبة للمسجد العتيق بوادي سوف والذي عرف استقرار السكان من حوله، والذي يتجمع فيه المصلين في الأعياد وأوقات الصلاة . إلى جانب زاوية سيدي سالم التي لها تقريبا نفس دور المسجد إلى جانب أنها تقوم بدور التعليم. وبذلك تتوافق إلى حد كبير مع تخطيط المدن الإسلامية.

- احتواء المسجد والزاوية على جل العناصر المعمارية المعروفة في المباني الإسلامية عامة ، كما امتاز بالبساطة الفنية دون تعقيد.

الفصل الثاني: المنشآت المدنية

-تمهيد

أولا: المرافق العامة

ثانيا: المساكن

لقد ظهرت المدينة الإسلامية بأشكالها المختلفة حسب الأقاليم التي بنيت فيها وتطورت وظائفها وعناصرها المعمارية بتطور المجتمع الإسلامي الذي طبعها بطابع خاص له خصوصيته ، وتستمد طبيعتها من المفهوم الحضاري للمكان ، ومن التطور المعماري للعمران . ولقد ساهمت المدينة الإسلامية في نشر الإسلام ، وازدهار الحضارة الإسلامية، لأن الإسلام دين حضري لا يستوفي كل أغراضه، ولا يحقق كل مطالبه الروحية والاجتماعية إلا في إطار المدينة والمنشآت الدينية والاجتماعية .

إن نظام المدينة الإسلامية أتى ليخدم الأهداف السامية، التي ظهرت من أجلها الرسالة المحمدية لدرجة لا تعد معها المدينة حدثاً عفويًا ، إن المدينة هيكل مقيد بأنظمة وقوانين ونواميس تستجيب حتماً لوضعية المجتمع ، وتتأثر بأنظمتها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والدينية ... وقد كان للمناخ والطبيعة أثرهما الفعال في تخطيط المدينة الإسلامية، وتشكيلها بإقليم وادي سوف لكن ضمن المفاهيم الأساسية في بناء المدن الإسلامية محافظة على معالمها وطابعها الإسلامي العام.

ومما لا شك فيه ، فإن هذا التقديم الموجز سوف يساعدنا على فهم الموضوعات التي نحن بصدد دراستها في الصفحات الآتية ، ومن ثمة تصنيفها وفق الوظائف التي تقوم بها ، مستهلين ذلك بالمرافق العامة التي تشمل على مجموعة من الأشياء التي بدت لنا أنها تشكل أهم عناصر المدينة السوفية.

أولاً: المرافق العامة

1- الشوارع : (الصورة رقم 37/36)

إن شبكة الطرقات تمثل قيمة لتاريخ البشرية ، على اختلاف أنواعها وأشكالها وأبعادها بالنسبة لحركية المجتمع ، كما تمثل أهمية كبيرة للنمو الاقتصادي والاجتماعي والتنمية الحضرية للدول¹.

وقد عرفت هذه الشبكة نمواً مستمرا عبر مراحل نمو المدينة الإسلامية وحسب رواد الفكر العمراني فإن للشوارع والطرقات شروط أثناء تخطيط المدينة، حيث يذهب ابن الربيع بأنه على الحاكم أن يقدر طرقها وشوارعها حتى تتناسب ولا تضيق².

أما الشيرزي فيذهب إلى أبعد من ذلك إذ يقول : " ...أما الطرقات ودروب المحلات فلا يجوز لأحد إخراج جدار داره أو دكانه فيها إلى الممر المعهود ، وكذلك كل ما فيه أذية وإضرار على السالكين كالميازيب الظاهرة من الحيطان في زمن الشتاء ومجاري الأوساخ الخارجة من

الدور في زمن الصيف إلى وسط الطريق ، بل يأمر المحتسب أصحاب الميازيب أن يجعلوا عوضها مسيلا محفورا في الحائط مكلسا يجري فيه ماء السطح وكل من كان في داره مخرج للوسخ إلى الطريق فإنه يكلفه سده في الصيف ويحفر له حفرة في الدار يجتمع إليها ...³. وثمة ارتباط وثيق بين شبكة الطرقات والمنشآت العمرانية في المدينة الإسلامية لأنه بمثابة شريان المدينة يربط بين وسطه وبقية أطرافه فينظم بذلك _____

1- حسين عبد الحميد أحمد رشوان ، المدينة - دراسة في علم الاجتماع الحضري -، المكتب الجامعي الحديث ، الإسكندرية ، 1998 ، ص 89

2- ابن أبي الربيع ، المصدر السابق ، ص 195

3- الشيزري ، المصدر السابق ، ص 14

الفصل الثاني _____ المنشآت المدنية

حركته " ¹ لذا وجد نوعان من الشوارع :الأول أطلق عليها الفقهاء المسلمون " طريق المسلمين " أو "طريق العامة" نظرا لعمومية استعمالها ، أما النوع الثاني فهو الطريق المغلقة التي تكتسي طابع الخصوصية وهي غير نافذة ². و شوارع مدينة وادي سوف تنقسم إلى قسمين: شوارع رئيسية وهي تتميز بالاتساع وهي نافذة عرضها من خمسة إلى سبعة أمتار، وبأطوال مختلفة أهمها :

-شارع محمد الخميسي، يفصل الأعشاش عن المصاعبة من الجهة الشمالية الغربية.

-شارع طريق الملاح، يفصل الأعشاش عن المصاعبة من الجهة الشمالية الشرقية

-شارع نزلة مهريّة ، يفصل الأعشاش عن أولاد أحمد.

كما تنتشر شوارع ضيقة ونافذة في أوساط الأحياء عرضها لا يتجاوز المترين وبأطوال مختلفة نذكر على سبيل المثال : شارع البلد وهو أقدم شارع في الوادي حسب الروايات الشفوية يقع بالأعشاش ويمر على رحبة اليهود. (الصورة رقم 36)

أما النوع الثاني فهو أقل انتشارا تتميز بأنها أضيق من الأولى وأقصر طولاً وغير نافذة تؤدي إلى منزل أو أكثر عرضها لا يتجاوز 1.50م ، ويطول أقل من 6.00 م (الصورة رقم 37).

ولم يغفل المسلمون عامل البيئة المناخية التي احتوت مدينتهم حيث عملوا على تكييفها مع البيئة التي تميز كل منطقة من مناطق العالم الإسلامي عن بعضها البعض، فوجهت الشوارع توجيهها يتناسب مع حركة الشمس والرياح لاستقطاب الظل والاحتماء من الرياح المؤذية³.

اتخذت الشوارع في حي الأعشاش التوجيه : شمال جنوب حتى تكون عمودية _____

1- إبراهيم بن يوسف، إشكالية العمران و المشروع الإسلامي ، ط1، مطبعة أبو داود، الجزائر، 199 ، ص 83

2- محمد عبد الستار عثمان، المدينة الإسلامية سلسلة عالم المعرفة ، العدد 152، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ،

الكويت ، 1978 ، ص 180

3- نفس المرجع ، ص 188

الفصل الثاني _____ المنشآت المدنية

مع حركة الشمس لتكتسب ظلا وافرا لمدة أطول في اليوم في حين تتمكن من استقطاب الرياح الشمالية التي تساعد على استمرار برودتها أطول فترة ممكنة ، إلى جانب شوارع موجهة توجيهها شرق غرب لتنفادي الرياح الحارة كرياح الشهيلي ، كما أن شوارع الحي تتميز بالالتواء لتخفف من حدة الرياح القوية أو من أجل حرمة المرأة أثناء سيرها في الشارع ، مع وجود بعض الشوارع المغطاة لتفادي أشعة الشمس وجعلها مكانا للإلتقاء وتبادل أطراف الحديث.(صورة رقم 36)

2- الأسواق

إن السوق أو القيسرية¹، هو مجموعة من الحوانيت مطلة على الطريق يباشر فيها التجار بيعهم وشرائهم².

ولقد كانت الشوارع التجارية والأسواق من أهم العناصر التخطيطية التي ارتبطت بالسكان في المدينة الإسلامية القديمة ومن أهم العناصر المكونة لتراثها الحضاري لما كان لها من صفة الاستمرار والنمو، إذ تلعب دورا كبيرا في شحن الحياة الاقتصادية والاجتماعية للمسلمين على مختلف مستوياتهم الاجتماعية³.

وللأسواق أنواع وأشكال : فهناك أسواق موسمية، وأخرى أسبوعية ، وثالثة نوعية "متخصصة في بضائع معينة " .

ويذكر ابن أبي الربيع في شأن تنظيم الأسواق على الحاكم : " أن يقدر أسواقها بكفايتها لينال سكانها حوائجهم من قرب " ، ويضيف في شأن تنشيط الحركة التجارية : "أن ينقل إليها من أهل الصنائع بقدر الحاجة لسكانها"⁴.

1-القيصرية :هي نمط من أنماط الأبنية التجارية في العمارة الإسلامية عامة ، يغلب على الظن أنها مأخوذة من القيسرية اليونانية بمعنى : سوق القصر أو السوق الإمبراطوري الذي استخدم خلال العصر اليوناني كمخازن ومساكن تحت إشراف ملكي...للمزيد من المعلومات أنظر عاصم محمد رزق ، المرجع السابق ،ص245

2- نفس المرجع ، ص155

3-خالد مصطفى عزب ، المرجع السابق ، ص 47-51

4-ابن أبي الربيع ، المصدر السابق ، ص192

الفصل الثاني ————— المنشآت المدنية

أما الماوردي فيذهب إلى أبعد من ذلك بجملة من الشروط التي تميز المدينة التي تقوم على التجارة والكسب :

1-أن يستوطنها أهلها طلبا للسكون والدعة .

2-حفظ الأموال فيها من استهلاك وإضاعة .

3-التماس ما تدعو إليه الحاجة من متاع وصناعة .

4-التعرض للكسب و طلب المادة¹ .

وهنا نستنتج أن الماوردي يضع شروطه التي تشمل تحقيق كل الحاجات المتجددة التي يحتاجها الإنسان الحضري كالكسب والمعاش والصناعة والرفاهية والمال...وهي شروط قلما تتوفر في المدن الراهنة .

أما الشيزري فيذكر في تنظيم السوق ما يلي :ص" ينبغي أن تكون الأسواق من الارتفاع والاتساع على ما وضعته الروم قديما ، ويكون على جانبي السوق أفريزان يمشي عليها الناس في زمن الشتاء إذا لم يكن السوق ميلطا ، ولا يجوز لأحد من السوقة إخراج مصطبة دكانه عن سمت أركان السقائف إلى الممر الأصلي لأنه عدوان على المارة يجب على المحتسب إزالته والمنع من فعله ، لما في ذلك من لحوق الضرر بالناس ، ويجعل لأهل كل صناعة سوقا يختص بهم وتعرف صناعتهم فيه ، فإن ذلك لقصائدهم أرفق ولصنائعهم أنفق ، ومن كانت صناعته تحتاج إلى وقود نار كالخباز والطباخ والحداد فالمحتسب أن يبعد حوانيتهم عن العطارين والبزازين لعدم المجانسة وحصول الضرر..."²

يقع سوق المدينة في الجهة الشرقية لمدينة واد سوف تتوسط المسجد والزواوية تقريبا عبارة عن محلات تجارية ودكاكين ذات مساحات صغيرة عرضها يتراوح ما بين 3.00م إلى 4.00م وبطول يقدر ب 4.00م .

تعرض في هذه السوق منتجات مختلفة باختلاف حاجيات السكان :من منتجات فلاحية ومواد غذائية ، وصناعات تقليدية مثل كالحداثة والنجارة الزرابي والبرانس —————

الفصل الثاني ————— المنشآت المدنية

والأقمشة والأسلحة ومواد الزينة الحلي ،إلى جانب مواد منزلية كالأواني المنزلية ومواد البناء .
وهي سوق يومية

وما يميز هذه السوق أن شوارعها تمتاز بالضيق في بعض الأحيان لتتجاوز 1.50م إلى 2.50م ، يصعب على مركبة تجارية الدخول إلى السوق، لذلك كانت وسيلة النقل في هذا الوسط في أغلب الحالات عن طرق الحيوانات " عربات تجرها أحمره محملة بالبضائع في حالات البيع والشراء .

كما تتميز هذه السوق بالتنظيم والتقسيم للبضائع المعروضة للبيع فكل قسم منه يختص في عرض بضاعة معينة ، جزء تباع فيه المواد الغذائية وجزء آخر مخصص للخضر والفواكه وآخر للأقمشة وسوق للأواني المنزلية.

إلى شرق السوق وفي منطقة منخفضة توجد مساحة واسعة ،هي السوق الأسبوعية وهي عبارة عن فضاء مفتوح تباع فيه مختلف المنتجات إلى جانب بيع الحيوانات ، يقصد هذا السوق أسبوعيا باعة ومشترون من مختلف المناطق حتى من خارج ولاية الوادي .
والجدير بالذكر هو أن هذا السوق سواء السوق اليومي أو الأسبوعي هو السوق الرئيسي لولاية وادي سوف .

3-الساحات

هي تلك الفراغات غير المبنية التي كثيرا ما أخذت اسم الرحبة في المدينة الإسلامية¹ وتعرف باسم "الجماعة" ، وتسمى " البير" عند أهل سوف والمعروفة حاليا باسم ساحة الشباب التي تصل بين شوارع الأعشاش وحي الوادي وأولاد احمد حيث تشكل جزءا هاما من القصر فهي ذات طابع جماعي واجتماعي إذ أنها تشكل أهم مجالات اللقاء وتوفر المجال للملائم لكل الممارسات الجماعية في القصر ، هذا الفراغ ———

1-إبراهيم بن يوسف ، نفس المرجع ، ص85

لفصل الثاني ————— المنشآت المدنية

يلعب دورا هاما في القصر فهو فراغ جامع موحد .تعددت وظائفها وتتنوعت حسب الفصول وحسب أوقات اليوم وحسب المناسبات ، حيث كانت تستعمل لأعمال الجماعة ولمناقشة الأمور المختلفة الدينية منها والسياسية ، والاجتماعية كالأفراح والسفر مثلا إلى الحج ، التجمع لدق نذر الحرب ، وفض النزاعات بين الفلاحين وإصلاح ذات البين إذا وقعت خصومة بين الأفراد أو بعض الأسر¹ والبيت في القضايا الاجتماعية ومناقشة أمور الزراعة ...وغالبا ما يترأسها شيخ القرية أو رؤساء القبائل.

إذن فساحة الجماعة عبارة عن مؤسسة يحدد فيها مصير القصر، أوقات السلم والحرب ، وهي بمثابة باحة مجلس تتم فيها اللقاءات بين سكان الحي أو الأحياء المجاورة ، كما أنها قد تكون مكانا للاحتفال بالمناسبات الاجتماعية والدينية .

وتحافظ هذه الساحة على مهمتها الأساسية ، وهي تقع في المكان الذي يسمح للنساء من رؤية كل التظاهرات من سطوح المنازل دون عائق .

وتعرف الساحات لدى سكان وادي سوف بالبير او الرحبة وأهم ساحات مدينة وادي سوف

كالتالي :

-رحبة العرش ، بين المصاعبة والأعشاش وتنسب للمصاعبة بمساحة تقارب ألفان وخمسمائة متر مربع.
 - رحبة الأعشاش ، تعرف برحبة اليهود الذين استوطنوا في المنطقة خلال الإحتلال الفرنسي للمنطقة وطردها منها مع بداية الثورة التحريرية ، وهي تعرف حاليا برحبة فلسطين بعد الإستقلال ، مساحتها تناهز ألف وستمائة متر مربع.
 -رحبة العمودي ، تقع بأولاد أحمد بمساحة تقارب العشرة آلاف متر مربع.
 -رحبة بئر الجماعة،تقع بالأعشاش وهي أصغر مساحة بحوالي ستمائة متر مربع —————
 1- أحمد يناسي ، من يوميات أستاذ من 1931م إلى سنة 1954 م ، ط 1 ، دار منشورات التبيين الجاظية ، 1994 ، ص 31

الفصل الثاني ————— المنشآت المدنية

4-المقابر: (الصورة رقم 39)

عرفت المقابر بتسميات عدة نذكر منها :

- ا-القبر :** وهو مدفن الإنسان وجمعه قبور والمقبرة مصدر والمقبرة بفتح الباء موضع القبور ، وقبره يقبره دفنه وأقبره وجعل له فبرا ، والمقبرة موضع القبر¹
- ب-المدفن :** هو مكان دفن الإنسان والدفن هو الستر والمواراة ،دفنه يدفنه دفنا وأدفنه فاندفن وتدفن فهو مدفون ودفين ودفن الميت واره².
- ج-التربة :**تعني المقبرة ، ترب الميت أي صار ترابا .
- د- الجدث :** في الحديث نبوؤهم أجدائهم أي نترلهم قبرهم .
- هـ-الكدية :** ومنه أن فاطمة ابنة الرسول صلى الله عليه وسلم خرجت لعزاء بعض جيرانها فلما انصرفت قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم "لعلك بلغت معهم الكدى" أراد المقابر وذلك لأن مقابرهم كانت في مواقع صلبة³.
- و-اللحد :** والجمع ألحد ولحود وهو شق يعمل في جانب القبر فيميل عن وسط القبر إلى جانبه ، بحيث يسع الميت فيوضع فيه ، وأصل الألحد الميل والعدول عن الشيء زمن ثم قيل عن للمائل عن الدين ملحد⁴.
- ي-الضريح :** وهو شق في وسط القبر ، وقيل قبر بلا لحد ، وسمي ضريحا لأنه يشق في الأرض شقا أو لأنه انفرج من جانب القبر فصار في وسطه⁵.
- ز-المقام :** يقول ابن منظور : " والمقام والمقامة : الموضع الذي تقيم فيه ، المقامة بالضم : الإقامة ، والمقامة بالفتح المجلس والجماعة من الناس قال : وأما المقام

1-ابن منظور ، المصدر السابق ، م5،ص 68

2-انفس المصدر ، ج13 ، ص 155

3-محمد حمزة إسماعيل الحداد ، القباب في العمارة المصرية الإسلامية القبة الدفن ، نشأتها وتطورها حتى نهاية العصر

المملوكي ، ط1 ، مكتبة الثقافة الدينية ، ط1 ، القاهرة ، 1993 ، ص16-17

4-أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي ، صحيح البخاري ، ج1،موفم للنشر ودار الهدى للنشر والتوزيع عين مليلة ، 1992 ، ص253

5-ابن منظور ، المصدر السابق ، ج2 ، ص 526

الفصل الثاني ————— المنشآت المدنية

والمقام فقد يكون كل واحد منهما بمعنى الإقامة ، وقد يكون موضع القيام لقوله تعالى لا مقام لكم ، أي لا موضع لكم وقرئ لا مقام لكم بالضم أي لا إقامة ، وحسنت مستقرا ومقاما أي موضعا يعني الإقامة " . و يبدو أن هذا المصطلح المقام يقصد به موضع الدفن¹ .
 تقع مقبرة وادي سوف في الجهة الشمالية الغربية للمدينة . (الصورة رقم 39)

وتظهر قبور وادي سوف كلها متشابهة ومتساوية ، إذ لا يمكن التفرقة بين قبر لغني أو فقير ، فالقبر لا يبرز عن الأرضية أكثر من شبر كما ينص على ذلك الفقه الإسلامي، وذلك لكي يعرف القبر فيصان ولا يداس بالأرجل ، وما يلفت للانتباه أن أغلب القبور عبارة عن أضرحة ذات بناء بسيط متواضع لا تزيد مساحته عن مساحة القبر ربما لأجل السبب السابق أي لصيانة القبر، البعض مزود بشاهد ليتعرف الناس على صاحب القبر خاصة أهله ، لأن الإسلام ينهي عن بناء الأضرحة وضرب الخيام عليها ، ورفعها عن الأرض أكثر من الحد المشروع واتخاذ الساجد والقباب فوقها ، وإيقادها بالسرج ، والسفر إليها ، والتمسح بها . حيث ورد في هذا الشأن أحاديث نبوية كثيرة تحرم البناء على القبر ، ومنها ما رواه مسلم عن جابر قال : " نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجصص القبر وأن يقعد وأن يبنى عليه " . و روى مسلم أيضا عن أبي الهياج الأسدي قال : " قال لي علي بن أبي طالب ألا أبعثك على ما يغني عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه لا تدع تمثالا إلا طمسته ولا قبراً مشرفاً إلا سويته "

ويتم تحديد قبر المرأة من الرجل عن طريق أحجار مصفحة مثبتة عموديا لقبر الرجل حجرتين واحدة عند الرأس وأخرى عند الأرجل ، وتضاف للمرأة ثالثة في الوسط ، وتوضع على طول القبر أنية للشراب مصنوعة من الفخار أو الحديد ، ذات أشكال وأحجام مختلفة ، حتى تشرب منها الطيور أو الحشرات فتكون صدقة على صاحب القبر تحتوي المقبرة على مصلى جنازتي وظف لصلاة الجنازة وهناك من يطلق على المصليات الجنائزية باسم مصليات المقابر. (الصورة رقم 38).

1- ابن منظور ، نفس المصدر ، ج 12 ، ص 489

1- ابن منظور: نفس المصدر ، ج 12 ، ص 489

الفصل الثاني ————— المنشآت المدنية

ولابد من تقديم تعريف لهذا المصطلح، فبقال للمصلى بالضم وتشديد اللام بمعنى موضع الصلاة ، وقيل أيضا موضع الدعاء¹ ، يقول الله تعالى : " واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى " ² . أما مفهومه كمصطلح ، فيقصد به تلك الأبنية التي تخصص للصلاة في مناسبات مختلفة مثل صلاة العيدين ، ومن هنا اشتهرت مصلى العيد ، و أطلق على المساجد بدون منذنة اسم مصلى³ . وبأداء صلاة الجنازة في هذه المصليات ، أصبحت تعرف باسم المصلى الجنائزي ، يبنى هذا المصلى أحيانا مجاورا لمصلى العيد ، وفي أحيان أخرى يستغل نفس المصلى لصلاة العيد وصلاة الجنازة في آن واحد ، فضلا عن أداء صلاة الاستسقاء⁴ المصلى الجنائزي لقصر الأعشاش أعيد بناؤه بمواد حديثة ، يقع عند مدخل المقبرة ندخل إليه عبر مدخلين عرضهما نحو 2.20م وارتفاعهما 3.00م ينتهيان بقوس لكل باب ، أما المصلى بمساحة ما يقارب 408 م² ، طوله 34 م وعرض 12 م أما ارتفاعه 3.60م. يتكون من 36 دعامة مربعة الشكل ضلعها 0.30م ، مغطى بجريد النخل ، ينتهي بسلمين متناظرين يؤديان إلى المقبرة لأنها اخفض من المصلى (الصورة رقم 38).

1- ابن منظور ، المصدر نفسه ، ج 13 ، ص 465

2- سورة البقرة ، الآية 125

3-محمد حمزة إسماعيل الحداد، المدخل إلى دراسة المصطلحات الفنية للعمارة الإسلامية، دار النهضة الشرق، القاهرة، 1995، ص37

4-محمد ناصر الدين الألباني، أحكام الجنائز، دمشق، 1968، ص106

الفصل الثاني ————— المنشآت المدنية

ثانيا : المساكن

المنزل مكان نزول القوم وسكنهم ، وصارت تطلق على كل بيت ، وعلى الخيمة لدى البدو الرحل ، أو على مسكن من حجر أو خشب أو قرميد لدى أهل المدن ، وهو كل حيز مبني يستعمل لإيواء عدد من الأفراد ، يجدون فيه السكينة والخلود إلى الراحة ، والحاجة إلى النوم .
للمسكن في الإسلام حرمة وقداسة وخصوصية إذ يمثل الحصن الذي تعيش فيه الأسرة و الحصن الذي يتربى فيه الأولاد وهو محل المال والمتاع .

وقد تأثرت هندسة المنازل عند المسلمين بهندسة المسجد حيث كانت في أغلب الأحيان مفتوحة للداخل حول مجال مكشوف مثل صحن المسجد ، تتوزع الغرف حوله ويمثل متنفسا للمستعملين ، ويضمن الشمس والهواء كما كان يحوي على الخضرة ويضمن النشاط الاجتماعي والأسري في ظروف تغيب عنا أعين الغرباء ، ولا يزال كذلك في الكثير من المدن العربية ، ويمثل المسكن بهذه الهندسة مزاجية بين كل من التقاليد والقيم الروحية الإسلامية من ناحية وظروف البيئة المناخية من ناحية ثانية.

ويعكس ذلك الترابط الاجتماعي الخاص بالأسرة والحياة الداخلية للفرد ، الاهتمام باستغلال المجال الداخلي واستعماله بدقة من قبل السكان وفقا لتوجيهات الدين الإسلامي ، حيث تفتح مداخل البيوت على أزقة ضيقة ، توحى في غالب الأحيان بخصوصية المجال وتحوله نحو الداخل بانغلاق الواجهة على الخارج ، ضف إلى ذلك الارتفاعات المتوازنة والأسقف المسطحة ، التي تجسد علاقة المجاورة التي يوليها التنظيم الإسلامي أهمية كبرى في المجتمع¹ .
فالصحن ذلك العنصر المجالي المشترك في معظم عمائر البلاد العربية لم يكن مجرد فجوة عارضة ، بل هو متنفس عضوي تستقر حوله بهدوء مرافق المبنى ، ولا

1-طالب حميد طالب، الماضي والمستقبل ونصرتنا للعمارة المعاصرة ، في مجلة المدينة العربية ، العدد 43 ، الكويت ،ماي 1990 ، ص42 ،

الفصل الثاني ————— المنشآت المدنية

يزال البعض من هذه الفناءات العربية ماثلا أمامنا في بعض مبانينا التاريخية إذ تعكس لنا بظلالها وشرفاتها ونباتاتها ومياهها الدافئة وما تضيفه من هدوء وخصوصية مجالا حيويا وفردوسا أراضيها لشاغليها¹ (مخطط رقم 03)

فهل كان لتعاليم الدين الإسلامي وخصوصية عمارة المنزل أثر فعال وموجه للمنزل عند أهل سوف؟ ، هذا ما سنعالجه فيما يلي :

1: البيت السوفي العتيق

إن المأوى الذي يرتاح فيه الفرد السوفي يختلف باختلاف الظروف و الأوضاع التي يعيشها من حياة البداوة أو الريف ، أو في الأوساط المدنية ، وتأخذ هذه المساكن عموما الصفة المؤقتة وهذا ما جعلها بسيطة.

كان البدو يسكنون في بيت خفيف المحمل أثناء تنقلهم يدعى "الخيمة" أو "بيت الشعر"، وبسبب حرارتها في فصل الصيف أو ضيقها يشيدون بالقرب منها كوخا يأوون إليه عند اشتداد الحرارة، كما يستقبلون فيه الضيوف، وينجز من الأغصان الكبيرة لشجر العنّدة والازال والطرفاء والرتم² وكان للخيمة أشكال مختلفة، وحجمها في المتوسط 7م على 3متر، وهي مصنوعة من وبر الجمال المختلط بشعر الماعز على شكل أشرطة متوازية، وهي تقام وتحمل أطرافها بواسطة أعمدة من الرتم وتشد الحبال المثبتة بالأوتاد، وهي من داخلها تقسم بستار يدعى "الحايل"، وهناك طية تسدل ليلا على بابها وتدعى "الساتر" وتفرش أرضها بزرابية.

وكان للخيمة أشكال مختلفة، وحجمها في المتوسط (7مx3م)، وهي مصنوعة من وبر الجمال المختلط بشعر الماعز على شكل أشرطة متوازية، وهي تقام وتحمل

1- طالب حميد طالب ، المرجع السابق ، ص43

2- أنظر

Le commandant cauve, notes ,op.citp71

الفصل الثاني _____ المنشآت المدنية

أطرافها بواسطة أعمدة من الرتم وتشد الحبال المثبتة بالأوتاد، وهي من داخلها تقسم بستار يدعى "الحايل"، وهناك طية تسدل ليلا على بابها وتدعى "الساتر" وتفرش أرضها بزرابية تدعى "الحنبل" وتحوي داخلها أدوات مختلفة منها قصعة العود والطاجين من الطين "الكسرة" والقدرة والكسكاس والقنينة¹ والرحى² والحلاب³ والمهراس⁴ والغربال والقربة والشكوة والشواري والمزود والغرارة

والخيمة علامة مميزة للقبائل البدوية ، لأن كل قبيلة لها خيمتها ذات الألوان الأشكال الهندسية الخاصة بها ، فالشعابنة لهم خيامهم البنية ذات الخطوط البيضاء ، والقطاطية بنية داكنة مع ثلاث خطوط حمراء ، بينما تكون بنية اللون فاتحة بها شرائط في الوسط بنية أو صفراء ، شديدة الصفرة عند الفرجان ، أما الربابع فهي سوداء اللون ذات أشكال ثلاث بيضاء اللون في جوانبها أما المصاعبة فخيامهم حمراء اللون⁵.

- المساكن الريفية " الغيطان "

وهي مساكن داخل الغيطان أو بقربه، يأوي إليها البدو والحضر ويستعملونها بصفة مؤقتة في أغلب الأحيان في أوقات جني التمر ومنها:

1- دار الكاف :

وهي حفر جانبية في سفوح الكثبان و الأراضي الصلبة في شمال سوف ، وهي تشبه الكهوف ، وتتخذ مخابأ أثناء النهار للإحتماء من رياح الشهيلي وحرارة الشمس ويحفظ بها المنتج الزراعي حتى يبقى طازجا .

1-إناء للشرب

2- آلة لطحن الحبوب مصنوعة من الحجارة

3-إناء خاص لحلب النوق والماعز

4-وعاء لدق الأشياء قبل الطهي ويكون غالبا من العود الأجوف

5- أنظر

Andrei Voisin ,op , cit , p 74

الفصل الثاني _____ المنشآت المدنية

ب-الزرابية :

وتسمى أيضا " السقيفة " وتوجد غالبا في الغيطان الجنوبية وهي أكواخ من جريد النخيل¹ ويمكن بها الفلاح الذي يعمل في الغيطان من سكان البدو أو الحضر لمدة معينة ثم يرتحل من المكان².

ج-دار الخزين :

ويتم تشييدها من " شبه البدو " الذين يمثلون جزء من القبيلة التي تستقر بخيامها بالقرب من غيطانها الصغيرة في فصل الخريف أثناء موسم قطع الغلة من التمر ، وبعد انتهاء موسم الجني تعود القبيلة إلى الصحراء³

وحتى تحافظ على مؤونها بنت بيتا صغيرا جعلت قاعدته في الرمال على عمق نصف متر بحثا عن الماء البارد ، وهي تغلق بباب واحد وعند رجوع البدو في الموسم المقبل ينصبون خيامهم أو يشيدون سورا من جريد النخل يحول دار الخزين و الخيمة داخل ذلك الفضاء "الحوش" إلى منزل ريفي⁴. ومن دار الخزين تحول المسكن إلى "دار الحوش" والتي برزت بشكل جيد في منطقة عميش⁵ و كانت نواة "النزلة" ونلاحظ عددا كبيرا من القرى التي تمتد من الوادي إلى العقلة⁶.

مسكن الحضر الريفية :

وهي بيوت من الجريد "زرايب" ثم صارت فيما بعد من الجبس ، أقامها سكان القرى والمدن من الحضر في غيطانهم ويسكنوها أثناء تنقلاتهم الموسمية ، والتي تمتد _____

Ahmed Nadjah,op , cit , p50

1-أنظر

2-إبراهيم العوامر ، المرجع السابق ، ص84

Ahmed Nadjah,op , cit , p50

3- أنظر

Andrei Voisin,op , cit , p 109

4-أنظر

c, bataillon, le souf ,etude de Geographiehumaine,mémoire,n2,universit d'alger ,p64

5-

J.Scelles Millier,op , cit , p22

6-أنظر

الفصل الثاني _____ المنشآت المدنية

من شهر جوان إلى سبتمبر، إذ يغادرون بيوتهم الساخنة في المناطق الحضرية ، إلى هذه البيوت الثانوية في الغيطان لأنها باردة أثناء اليوم ، وفي الليل يبرد الرمل فيتمتعون فوقه بنوم هادئ ، ومن الدوافع التي تحفزهم على الهجرة الموسمية ، وجود الماء العذب ، ويتمكنون خلال ذلك من سقي الحرث بسهولة ، ولما يقترب فصل الخريف يمكنهم مراقبة منتوج التمر عن قرب¹ وكل هذه المساكن الريفية المؤقتة كانت تؤثر وتتأثر بالتطور العمراني الذي كان في تطور مستمر منذ القرن العشرين .

2: التجمعات السكانية "الحوش"

كانت قرى ومدن وادي سوف تتكون من مساكن ذات أبواب صغيرة، تبرز من فوق أسقفها بعض أغصان النخيل، وتتجمع هذه المساكن حول المسجد وعلى أطرافه تنتشر وتتوسع البلدة " النزلة " مع وجود البئر في وسط الرحبة² التي تتصل بالشوارع الحلزونية التي تغطيها الرمال.

ولم يمنع هذا التجمع العمراني من وجود زرايب أو خيام تسكن بها العائلات الفقيرة في ضواحي مدينة الوادي عاصمة سوف³. والجدير بالذكر أن أغلبية القرى القديمة أقيمت غرب الغيطان ، وتم اختيار هذا الاتجاه حتى تحمي من الرياح والرمل⁴.

- ومنذ القدم راعى مشيدو المساكن عدة أمور منها الظروف المناخية، والدين والعادات والأعراف والحشمة والحياء لصيانة المرأة من الأنظار، إضافة إلى _____
- 1- أنظر Andrei Voisin ,op , cit , p 109
- 2- Isabelle Eberhardt ,Victor Barrucand-Dans l'ombre Choude de l'Islam- Imprimerie p,et A Diary , paris ,1926 ,p258
- 3- إبراهيم العوامر ،المرجع السابق ، ص84
- 4- أنظر Commandant CAUVET, notes , op, cit ,p73

الفصل الثاني _____ المنشآت المدنية

الجوانب الصحية المناسبة¹.

والمنزل السوفي يدعى " الحوش " نسبة إلى الفضاء الواسع في وسط المنزل، وهو عبارة عن مساحة مكشوفة تتوسط المنزل يأتي مباشرة بعد السقيفة ، وهو القلب النابض بالحركة الداخلية لأفراد الأسرة المنظمة للنشاطات اليومية لهم ، منه ينتقلون خروجاً ودخولاً لمجموع الغرف أو الفضاءات الأخرى، كما تساعد على إمداد مجموع الغرف بالضوء حيث تحافظ على الاتصال المباشر بالفضاء الخارجي ، وتعمل على تجديد الهواء النقي صيانة لصحة السكان ، كما توفر للعائلة الراحة والطمأنينة والاستقلال وأواصر الوحدة والألفة بين جميع أفراد الأسرة ، وفي هذا الصحن تفتح كل المرافق التي كانت أرضها رمليّة، ولا يمكن للسوفي أن يعيش في منزل بدون حوش، لأن أغلب أيام السنة حارة، وتحتاج إلى الهواء الطلق، حتى يبرد الرمل فيستلقي فوقه ليلاً وخاصة في ليالي الصيف الحارة ، وبعض الناس يقيم " السدة " في وسطه وهي بمثابة السرير ويوجد في الحوش بئر في الجهة الشرقية ، ويمكن تحديد مرافق البيت السوفي كما يلي: (المخطط رقم 03)

1-السقيفة: (المخطط رقم 03)

وهي مدخل البيت، وتكون مستورة - حتى لا ينكشف للأجانب البيت ونسائه - بحائط يكمن دورها في حجب الرؤية على من يكون في الخارج لمن هم في الداخل من أهل البيت لتأكيد حرمة الأسرة وصيانة الأعراف ، حتى لا يتمكن أي غريب من اكتشاف أسرار أفرادها ، وغالبا ما يكون التخطيط الهندسي لها ذا شكل مستطيل لا يتجاوز قياسها 2م x 4م. يمكن استغلالها لجلوس الضيوف العاديين، كما شيدت بجانبها حجرة سُميت " دار السقيفة "وهي عبارة عن غرفة استقبال للضيوف في الحالات _____

Ahmed Nadjah,op , cit , p92

1-أنظر

الفصل الثاني _____ المنشآت المدنية

الرسمية الهامة التي تتطلب احترامهم والاعتناء بهم في ظروف حسنة¹

ب-دار الخزين: (المخطط رقم 03)

تتوفر المنازل على غرف تراعى فيها شروط معينة لما لها من أهمية وخصوصيات تؤهلها على ما وضعت من أجله ، تحتل موقعا من الدار بعيدا عن مرئي النظار ، ويكون أبرد مكان فيها ، وأقل عرضة للشمس كأن يكون في الجهة الشمالية أو الغربية.

وتستعمل لتخزين المؤونة من مواد غذائية وخاصة التمر الذي تعلق عراجينه على أعمدة من خشب ، وغالبا ما يخصص له مكان يُدعى "الخابية" وهي دائرية الشكل مبنية بالجبس في أحد نواحي الحجرة وفي أسفل الخابية قسبة يخرج منها عسل التمر المضغوط ثم يجمع هذا العسل في قلة أو زير²، كما يشيد بالقرب من الخابية " الحد "وهو مربع الشكل ويوضع فيه تمر النهوش ، أو الحبوب من القمح والشعير، كما تستعمل " السبالة " قلة كبيرة لحفظ الحبوب ، أما الزير والقلة فيحفظ فيهما الزيت والشحم ، و في ركن من أركانها الصوف والوبر والخشب .

ج-المطبخ : (المخطط رقم03)

الذي يعتبر واحد من المرافق العامة الموجودة في المنازل وتكون في حجرة خاصة أو في وسط الساباط ، وتكون بها مدخنة" الشميني." والوقود المستعمل هو الحطب الذي يجمعه الحطاب من الصحراء ، أو الحطب المجلوب من الغيطان ،ويحتوي المطبخ على أدوات بسيطة مثل القدر والغربال والطبق الخشبي

Le commandant cauvet, notes , op, cit ,p66
Andrei Voisin op , cit , p 114

1-أنظر
2-أنظر

الفصل الثاني ————— المنشآت المدنية

والمهراس¹ وقسعة العود والطاوة ،وهي صفيحة حديدية تتخذ لصنع الخبز ، والرحى وهي مطحنة صخرية لطحن الحبوب المختلفة²

د-غرفة : (المخطط رقم03)

وفي الحوش تخصص غرف للنوم حجرتان أو ثلاث أو أكثر حسب مستوى العائلة وكبرها وتعدد الأسر فيها، تأخذ شكلا مستطيلا أو مربعا مساحتها لا تتجاوز 3مx3م، و ارتفاع 2.5 م، وفي بعض الأحيان تنجز المقصورة، وهي بيت صغير داخل الحجرة ، تشيد في جهة من قبة هذه الحجرة دكانة من الجبس وهي بمثابة السرير، وقد زودت جدرانها بكوات أغلبها يأخذ شكل مثلث متساوي الأضلاع أو مستطيل (الصورة رقم53)، أعدت خصيصا لوضع وسائل الإنارة أو أدوات الزينة وما شابه ذلك بالنسبة للمرأة ، وبعض الفتحات الصغيرة المتواجدة على جدرانها ، ولا تكون بالضرورة كل الغرف مزودة بهذه الفتحات ، هناك غرف لا تتوفر عليها.

هـ-السباط : (المخطط رقم03)

وهي غرفة مفتوحة للحوش وبها أقواس يدخل إليها الهواء بكثرة ، وفي البيت عادة سباط في الجهة الجنوبية يخصص لفصل الصيف ، وآخر في الجهة الشمالية ويخصص لفصل الشتاء³،وللسباط أهمية في البيت السوفي فهو مكان للراحة واجتماع الأسرة ، ومكان لعمل النسوة يقام به المنسج ويتم طحن القمح والشعير ، كما تقام فيه الحمامة التي تحمل قربة الماء أثناء النهار.⁴

Ahmed Nadjah ,op , cit , p92

1- أنظر

Mohammed Rochd,IsabelleUne Maghrebien d'adoption, o p u , Alger ,1992 ,p192

2-

Ahmed Nadjah,op , cit , p 92

3-أنظر

Isabelle Eberhardt ,op , cit , p251

4-أنظر

الفصل الثاني _____ المنشآت المدنية

و-الإصطبل (المخطط رقم 03)

للدواب قال أبو عمرو: "الإصطبل ليس من كلام العرب"¹ ، جمعها اصاطبل واصطبلات وأصابل ، مصغرة اصطب².

تردد في لسان العرب بالصاد مع الإشارة إلى أنه ليس من كلام العرب ، وفي المنجد بالصاد والسين ، مع الإشارة إلى أنها لاتينية أو يونانية ، فهي زريبة الدواب أو موقف الدابة .
اهتم أهل مدينة وادي سوف بإنشاء اصطبلات والمعروفة باسم الكوري ، وذلك لحماية حيواناتهم كالحمير والبغال والماعز والدواجن كالدجاج والحمام... وتأمينهم لها لما لها من أهمية في حياتهم

كما يكون فيه بيت تقليدي للخلاء "خربة" وهي عبارة عن حجرين بينهما ثقب كبير، وتجمع الفضلات لتستعمل بعد ذلك في تسميد المزروعات كالنخيل وغيره. ويكون الكوري في الجهة الشرقية من الحوش لتعريضه إلى أشعة الشمس³ وقد تشيد زريبة في بعض المنازل تخصص للحيوانات⁴.

ز-البئر :

ويكون غالبا في بيوت الأغنياء، ويستعمل مأوها للطهي والغسيل، ويجلب الماء العذب من آبار القرية الخارجية أو من الغيطان من طرف الفتيات الصغيرات بواسطة القرب⁵.

ح- السلالم : (الصورة رقم 43)

هي عنصر معماري هام من عناصر البناء الداخلية ، في المصطلح الأثري السلم بمعناه العام هو مجموعة من الدرجات الموصلة بين أدوار المبنى ، وقيل أنه _____

- 1-الشيخ الإمام محمد ابن أبي بكر عبد القادر الرازي ، مختار الصحاح ، ط9 ، القاهرة ، مصر ، 1962 ، ص 28
- 2- عبد الرحيم غالب ، المرجع السابق ، ص 55

Ahmed Nadjah,op , cit , p92

Andrei Voisin ,op , cit , p 114

Isabelle Eberhardt, op cit , p232

3-أنظر

4-أنظر

5-أنظر

الفصل الثاني _____ المنشآت المدنية

يسمى بهذه التسمية لأنه يسلمك حيث تريد¹ ، جاءت معظم السلالم في أركان المنازل وتكون إما في اتجاه واحد أو أكثر ، وهناك بعض المنازل الضيقة التي لا تتوفر على مساحة كافية لإنجاز السلم فيلجأ أصحابها إلى جذوع النخل فيقسمونها على نصفين ويثقب جدار الجذع على طوله بثقوب تمتد من أسفله إلى أعلاه لتستعمل كسلم للصعود ، تبتعد كل فتحة عن الأخرى بـ 0.30 م .
وضعت هذه السلالم بعناية لتتمكن من تسهيل الصعود وتحمل الثقل ، ولا يكاد أي منزل من منازل مدينة وادي سوف يخلو من هذا العنصر .

ط-الإنارة في البيوت :

في الليل يطبق الظلام الدامس وينتشر في القرى والمدن والبيوت ، ماعدا الضوء الخافت الذي ينبعث من الخارج خصوصا، وعند الميسورين بصفة أساسية ، ومن هذه الوسائل ، مصابيح الزيت² ، أو " الفتيلة " ، والشمع الذي يوضع فوق الأرض ، أو يثبت في الجدران ، أو تخصص لها كوات (الصورة رقم 53) وكذلك يستخدم " كانكي الفينار" وهو غطاء زجاجي توضع بداخله الشمعة أو فتيلة الزيت لحمايتها من الهواء حتى تستمر في الإشتعال عندما تستعمل للإضاءة في

الخارج ، إضافة إلى الفوانيس الصغيرة³ . وسائل الإنارة التي تستعمل يومئذ بشكل محدود أثناء الأكل.

ك- السطح

يحاط سطح المنازل بسور ارتفاعه ما بين 0.60م فما فوق يتم الصعود إليه بواسطة سلم ، يأخذ مساحة المنزل ، وهو فضاء شاسع يستعمل للنوم ليلا في فصل الصيف والاستفادة من النسيم وتقوم النساء بتجفيف الملابس والمواد الغذائية الخاصة بأهل البيت ، ومكانا للعب الأطفال لكن معظم سطوح سكان وادي سوف مقببة أو ما يعرف بالأدماس (الصورة رقم 42/41/40) لذا يعوض هذا الفضاء بصحن المنزل. _____

1-عاصم محمد رزق ، المرجع السابق ، ص 150

2- أنظر

3-أنظر

Mohammed Rochd ,op ,cit , p191

Isabelle Eberhardt , op , cit , p 222

الفصل الثاني _____ المنشآت المدنية

خلاصة الفصل الثاني

من خلال دراستنا للفصل الثاني يمكن أن نستنتج نتائج هامة تتمثل فيما يلي :

-ما يميز المدينة العتيقة هو شوارعها التي تربط بين مختلف أحياء المدينة وعناصرها المعمارية وغالبا ما يكون الشارع أوسعاً ليربط الساحة أو الحي بالأحياء الأخرى ، ثم يأتي الزقاق ذو الشكل الملتوي والذي يساعد على تكسير توجيه الرياح والنظر عند السير ، فيحقق نوعاً من الحشمة ، ثم نصل إلى الطريق المغلق الذي يؤدي إلى سكن واحد المنغلق على الخارج والمنفتح على الداخل ، بحيث نجد في المدخل ما يسمى بالسقيفة التي تعتبر الفتحة الوحيدة على الخارج ، لتصل إلى الفناء أو ما يعرف بالحوش ، وهو فضاء لممارسة مختلف النشاطات المنزلية للمرأة بكل حرية وحتى مجال للعب الأطفال ، وتحقيق حركية داخل المنزل ، وتحقيق جانب روعي يتمثل في ارتباط الفرد بالسماء ، وغالبا ما يتم حفر بئر داخل هذا الفناء .

- نضيف الى ذلك العنصر القبلي أو العروشي الذي ساهم في تشكيل النسيج العمراني للمنطقة بحيث نجد أحياء حسب العروش الموجودة مثل المصاعبة والأعشاش، أولاد أحمد وحتى الجانب المناخي أدى إلى تراص المباني حتى يتجاوب مع حرارة وجفاف المنطقة .

-التركيب العمراني للمدينة يغلب عليه الطابع الإسلامي ، فكان يتدرج من البيئة العامة إلى الخاصة ، وتكون الانطلاقة من الساحة العامة المجال الأوسع ، الذي يمثل مركزاً لتجمع السكان في المناسبات الكبرى.

-تتوفر المدينة على سوق شعبية توفر كل ما يحتاجه السكان على اختلاف مستوياتهم .

- المقبرة التي تميزها وجود مصلى جنازي بها لتأدية صلاة الجنازة أو حتى صلاة العيدين..

الفصل الثالث:

مواد الإنشاء وخصائص البناء

-تمهيد

أولاً: مواد البناء

ثانياً: طرق البناء

ثالثاً: الزخرفة

الفصل الثالث _____ مواد الإنشاء وخصائص البناء

تمهيد

لمنطقة الوادي نمط معماري مميز، أملت الظروف الطبيعية أحياناً وثقافة أهل المنطقة أحياناً أخرى، فالمواد المستعملة في البناء في وادي سوف متنوعة فهي محلية أهمها الجبس، أما وادي ريغ فقد استعمل الطين في صناعة الطوب الذي تبنى به الجدران، حيث أن البناء السوفي استغل المواد المحلية في عملية البناء.

ولقد مكنت السكان هذه المواد البسيطة من بناء منازلهم بسهولة ويسر وكانت تجلب من مناطق مجاورة غير بعيدة فيتم إعدادها وتهيئتها حتى تكون صالحة للاستعمال، ثم تستعمل حسب خاصيتها وما يتلاءم منها و مناخ المنطقة، فكل مادة منها خصائص ومميزات تستوجب استعمالات معينة وتقرض نفسها على الشكل¹

ومن خلال المعاينة الميدانية التي قمنا بها لمختلف المنشآت تبين أن تلك المواد صمدت لمختلف الظروف التي عرفتها المنطقة خاصة المناخية.

أولاً: مواد البناء

- الجبس:

جبس ، يجبس ، تجبسا ، وجبس جمعه أجباس ، ويطلق عليه الجص ، وهو من مواد البناء ، وهو خام من كبريتات الكالسيوم ، ويعتبر مادة أساسية بالنسبة لعملية البناء لعدة اعتبارات، يستخدم في عملية طلاء البيوت وتقويم الحجارة بعد أن يكون جاهزا للاستعمال².

1-رنيف مهنا ، ويسن بحر ، نظريات العمارة ، ج1 ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1992 ، ص 26
2-علي حملاوي نماذج من قصور منطقة الأغواط ، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ، وحدة الرغاية ، الجزائر ، 2006 ، ص 290

الفصل الثالث ————— مواد الإنشاء وخصائص البناء

تمهيد

تطورت صناعة الجبس في أواخر القرن التاسع عشر بسبب تطور البناء وتوسع الحركة العمرانية، وهذا ما جعل صناعة الجبس تتطور في وسائلها لتوفير كميات أكبر لتحقيق الاكتفاء الذاتي من مواد البناء الضرورية. ورغم التطور الصناعي في مجال البناء وغزو الاسمنت إلا أن أهالي وادي سوف لا زالوا يحافظون على صناعة الجبس المحلي لكونه كان ولا يزال المادة الملائمة لطبيعة العمران العتيق الذي ما زال قائما بأحياء وقرى المنطقة. وفيما يلي عرض لمراحل صناعة الجبس:

1-عملية استخراج الحجارة :

وهي عملية شاقة حيث يقوم العاملون باستخراجها من محاجر خاصة تدعى المقطع فتستخرج المادة الأولية للجبس وهي التافزة بنوعيتها الهشة والحجرية، وكذلك الترشة وتستعمل في هذه العملية: الفأس والبالا، المسحة، والبراميل وهو اسطوانة حديدية طولها 2م، عند ذلك تصبح الحجارة بعد استخراجها جاهزة للحرق.

ب-حرق الحجارة:

ويتم بطريقتين مختلفتين:

الأولى :

بالحاروق وذلك بوضع حجر الترشة على صفحة حجر التافزة، ويجعل فوقه كثير من الحطب والحشائش مثل بوقريية واللبن، وفوق كومة من الترشة حتى يصير

الفصل الثالث ————— مواد الإنشاء وخصائص البناء

شكله مثل القبة، وتترك من الجوانب عارية، ثم تضرم النار في تلك الجوانب، فيشتعل الحطب وما معه، وتصير الترسبة بذلك جبسا. وهذه الطريقة يستخدمها الفقراء في¹ غواطينهم عندما يحتاجون إلى قليل من الجبس لبناء حوض أو ساقية أو بئر .

الثانية: (الصورة رقم 46/45)

الكوشة وهو فرن يُشيد بالقرب من مقلع الحجارة وهي ذات شكل دائري له فتحتان إحداهما في الأسفل وهي مكان الموقد ويستخرج منه الجبس بعد الحرق، والفتحة الثانية تكون كبيرة في أعلى الكوشة وهي مفتوحة للهواء مباشرة.

د-تهريس الجبس وتحضيره :

عند الانتهاء من عملية الحرق بواسطة الحاروق أو الكوشة يُستخرج الجبس ويوضع في مكان صلب، ويُضرب بقوة سواعد العمال المفتولة بواسطة مهاريس كبيرة تسمى الخبابة فتحول الحجر إلى مادة الجبس التي تشبه الدقيق المسحوق لكنها مخلوطة بالرماد وأجزاء الخشب المحترق (الفحم) ويحدث هذا الخلط زيادة في الكمية، وتخفيفا من شدة الجبس وقوته، ليكون سهلا للاستخدام². كما تصنع كذلك الجباسة لتنظيف الصوف. (الصورة رقم 46/45)

ويستعمل الجبس في عملية بناء الجدران للربط بين أجزاء الحجارة وكغطاء لها أو في عملية تلبيس الجدران أو لبناء القباب ، وهو مادة هامة للبناء لأنها متوفرة و سهلة الحصول للغني والفقير و مادة تتميز بسرعة الجفاف عكس الإسمنت .

1-لقاء مع السيد بوضياف مسعود ، مهندس معماري ، مهتم بالعمارة القديمة لوادي سوف
2-لمزيد من المعلومات حول طريقة استعمال الجبس أنظر عبد الرحمن بن خلدون ، الديوان، ج2 ، المصدر السابق ، ص492

الفصل الثالث ————— مواد الإنشاء وخصائص البناء

إذن نستنتج أن عملية بناء المنازل لا تستغرق وقتا كبيرا ، كما أنه يحافظ على مناخ المنازل ، فيضفي البرودة صيفا ، والدفء شتاءا حيث يحافظ على درجة الحرارة الداخلية للمنازل أكثر من 08 ساعات عكس الإسمنت الذي يحافظ عليها مدة لا تزيد عن 02 ساعة¹

وتتميز هذه المادة بقدرتها على التكيف مع العوامل الطبيعية ، كما تعد حاجزا واقيا ضد الحرائق².

2-عناصر النخيل

النخيل مصدر اقتصادي هام بالنسبة للمجتمع الصحراوي ، فإلى جانب أنه مورد غذائي بإنتاج التمر الذي يمثل المؤونة الأساسية للسكان على مدار السنة ومصدر جلب العملة "التجارة" ، ومصدر طاقوي للتدفئة والطهي ، فإنه كذلك يعتبر مادة هامة من مواد البناء، تستعمل بعد إشرافها على الهلاك فتقطع طوليا إلى قسمين في الغالب ثم تصفى من مختلف الشوائب، تترك مدة زمنية كافية حتى تجف وتصبح صالحة للاستعمال . إذ تستعمل في صناعة الأبواب ، فكانت

نوعية استعمالها تختلف من عائلة إلى أخرى تبعا للمستوى الاجتماعي للعائلة ، فالأسر الغنية تستعمل الأبواب المنقوشة والتي تجلب من تونس، في حين أن الأسر الفقيرة فقد كانت تستعمل الأبواب المصنوعة من جذوع النخيل- بعد تحضيرها حتى تصبح جاهزة للاستعمال-والمغطاة

1-لقاء مع السيد بوضياف مسعود ، مهندس معماري ، مهتم بالعمارة القديمة لوادي سوف
2-تختلف درجة الحماية ضد الحرائق حسب سمك طبقة الجص ، فكلما ازداد سمك الطبقة كلما ازدادت درجة الحماية ، فمثلا إذا كان سمك طبقة الجص 10م فهو يوفر الحماية لمدة 30دقيقة ، وتحت درجة حرارة تقدر بـ 800 درجة مئوية ، بينما توفر طبقة ذات سمك يبلغ 30 م الحماية لمدة 40 دقيقة وتحت درجة حرارة جد مرتفعة تقدر بـ 1100 درجة مئوية ، أنظر علي حملوي المرجع السابق ، ص292

الفصل الثالث ————— مواد الإنشاء وخصائص البناء

بصفائح من القصدير، كما ستعمل في عملية التسقيف كأعمدة أو عقود أو تستعمل كسلالم داخل المنازل (الصورة رقم49-51)

أما جريد النخيل وهي أغصان مفصصة له استعمالات متعددة فبعد أن يصبح جاهزا للاستعمال - بإتباع طرق معينة المتمثلة فيما يلي بعد تصفية النخلة في موسم ما من مواسم السنة والتي هي في الغالب فصل الخريف تنزع منها الجريد اليابس منها وفي بعض الأحيان الأخضر ، أو في حالة سقوط النخلة لسبب ما ، بعدها تنزع منه أشواكه وسعفه ، بعدها يتقرب لتسهيل عملية ربط بعضه ببعض بواسطة أسلاك أو خيوط ثم يعرض لأشعة الشمس ويثقل بمواد مستوية لأجل استقامته- يستغل كمادة مساعدة لتسقيف المنازل حيث يفرش ليضع فوقه الحجارة والجبس وكذا تشكيل السقائف لتحجب أشعة الشمس مثل الشوارع المغطاة كما يستعمل في صناعة الأبواب وهو تقنية مساعدة لعملية البناء ، كما يستعمل كسور لحماية البساتين . (الصورة رقم49/50).

3-الحجارة

حجر : جمعها أحجار وأحجر وحجارة وحجار ،والحجارة أنواع كثيرة منها الصخور النارية ناتجة عن البراكين ، أو رسوبية ناتجة عن ترسبات أحجار ومواد كالحجارة الكلسية ، والرملية.

ويستعمل سكان وادي سوف " حجارة اللوس " و تسمى زهرة الرمال (rose de sable) وهي حجارة صلبة تستعمل خاصة في إقامة أسس المنازل وآبار صرف المياه المستعملة¹.

1-لقاء مع السيد بوضياف مسعود ، مهندس معماري ، مهتم بالعمارة القديمة لوادي سوف

الفصل الثالث ————— مواد الإنشاء وخصائص البناء

ثانيا-طرق البناء

صناعة البناء هي معرفة العمل في اتخاذ البيوت والمنازل للسكن والمأوى ، وقد جاء بناء المنازل المكتتفة بالسقف والحيطان من سائر الجهات ، بعد أن فكر الإنسان فيما يدفع عنه الأذى من الحر والبرد.

وتعد الناحية التقنية في البناء وسيلة من وسائل ضمان سلامة المبنى واستقرار أجزائه ، وتعتبر أيضا "الوسيلة المتاحة لتناول المواد بالتشكيل في عمليات التعبير الفني الذي يجب على المعماري أن يمتلك ناصيتها"¹.

واتخذت أساليب البناء الغالبة عدة طرق تمثلت فيما يلي :

1- طريقة المداميك:

وهي طريقة قديمة ظهرت خلال القرن الرابع قبل الميلاد بالجدار الروماني المعروف باسم "سرفيان" ، وقد ظهرت في عمائر الشرق الإسلامي ، أما بالمغرب الإسلامي فيلاحظ استعمالها منذ القرن (02 هـ / 08 م). واستمرت حتى القرنين الرابع والخامس هجريين ، إلى العاشر والحادي عشر للميلاد .

وطريقة المداميك يعتمد فيها أساسا على مواد مهذبة أو نوعا ما مهذبة ، أي ذات زوايا قائمة، وفي هذه الحالة تكون مادة البناء فيها موضوعة بطريقة متتالية وأفقية - وهذه الطريقة حسب نجيب محمد مصطفى² - تساعد الحجارة على عدم تأكلها مما يعطي شكل مسافات منتظمة ومتساوية ، ذلك أن المواد المستعملة والمختارة تكون³

1- عبد الرحمن بن خلدون ، المقدمة ، المصدر السابق ، ج 2 ، ص 320
2- نجيب محمد مصطفى، العمارة في عصر المماليك تاريخها فنونها وآثارها ، مطابع الأهرام التجارية ، القاهرة، 1970
3- علي حملاوي ، المرجع السابق ، ص 298-299

الفصل الثالث _____ مواد الإنشاء وخصائص البناء

أشكالها ومقاساتها موحدة تقريبا¹.

و تتم عملية البناء بهذه الطريقة بوضع الحجارة في كامل المسافة على إحدى بطنيها بحيث يكون أحد جانبيها مقابلا محور الناظر ، وعند الانتقال إلى الصف التالي يترك فراغ بقدر المادة المستعملة ، ثم توضع الحجارة التي تتوسط الحجرتين السفليتين ، وهكذا وبنفس الطريقة حتى تتم عملية البناء للعنصر المراد بناؤه .

2- طريقة أدية و شناوي

وهي الطريقة السابقة في اختيار مادة البناء ، حيث يراعى فيها كذلك المواد ذات الزوايا القائمة والمقاسات المتساوية ، مثل الطوب والحجارة المصقولة والمهذبة ، ويقصد بهذه التقنية وضع الكتل أفقيا تارة على إحدى جانبيها وتارة على إحدى واجهتيها وفي هذه الحالة تنجز المسافة بالطريقة التالية :

توضع الحجرة أو الطوبة الأولى طولا وتكون على إحدى بطنيها ، وبذلك لا يظهر للعيان منها سوى جانب من جانبيها ، أما الثانية فتوضع طولا على بطنها باتجاه داخل الجدار بحيث

يظهر منها سوى أحد الوجهتين ومن مزايا هذه الطريقة في البناء انها تضيف مظهرا سليم الوضع باستخدام كتل رشيقة².

3-طريقة السنبله

تشبه هذه الطريقة في وضع حجارتها وضعية حبات القمح في السنبله ولذلك فإن الكتل ، توضع فيها متلاصقة بأحد أركانها بحيث تشكل في الأخير زاوية ذات 45 درجة وأحيانا ذات زوايا قائمة.

1- علي حملاوي ، المرجع السابق ، ص298-299
2- المرجع نفسه، ص300

الفصل الرابع ————— مواد الإنشاء وخصائص البناء

عرفت هذه التقنية منذ العهد القديم حيث كان يتم استخدامها مع الدبش¹ الغير منتظم الشكل ، حيث تبرز بصفة خاصة في الأماكن المراد غلقها كالثقب ، ومن مزايا هذه التقنية أنها تشكل قناة تتسرب منها مياه الأمطار المتسللة عبر أجزاء الجدار.

4- طريقة المزج(الصورة رقم 42)

وهي الطريقة التي يستعمل فيها مواد مختلفة وغير منتظمة الشكل والمقاسات ، لذلك يتحتم على المعماري اختيار المادة التي تتناسب والمكان المخصص لها ، ثم يملئ الفراغ الناتج بينهم بالمادة اللاحمة المعدة لهذا الغرض كالتربة الطينية أو الجبسية ، ثم تكسى الجدران في الأخير بواسطة ملاط وذلك لعدم تناسق أجزائها وعدم جمال منظرها².

والجدير بالملاحظة أن هذه التقنية قديمة العهد ، ظهرت منذ القرن الثالث قبل الميلاد أما بالمغرب الإسلامي فيلاحظ وجودها في الأسوار المرابطية بمراكش ، وفي المنشآت الزيرية حيث وجدت في قلعة بني حماد³.

وقد اعتمدت هذه الطريقة في البناء بمدينة وادي سوف بشكل واسع لكونها لا تتطلب مهارة كبيرة أو يد فنية متطورة ، كما أنها غير مكلفة خاصة أن أهل سوف يعتمدون في عملية البناء على مادة الجبس في البناء ، وهذا راجع إلى سهولة تلحيم الحجارة بعضها البعض، ولسرعة جفافه، وكذلك تلبسها من كل الجهات (الصورة رقم 42) .

1-الدبش هي كلمة عامية تعني الحجر الغشيم الذي لم ينحت أو يشذب أنظر عبد الرحيم غالب ، موسوعة العمارة الإسلامية ، ط1، بيروت ،لبنان، 1988، ص125-126
2-علي حملاوي المرجع السابق ، ص 301- 302
3- المرجع نفسه ، ص 303

الفصل الثالث ————— مواد الإنشاء وخصائص البناء

الأساس هو ذلك القسم من المنشأ الذي يشيد تحت مستوى الأرض الطبيعي ، وعلى عمق معين وبمواد مختلفة ، كالخرسانة ، والطابوق ، والحجر ، وينقل ثقل المنشأ إلى طبقات التربة الصالحة لتحمل تلك الأثقال¹.

وبما أن أغلب المنشآت مبنية على أسس من الحجارة ، والتي يتم حفر الأساس فيها إلى عمق² لا يقل عن 0.80 م وبعرض أكبر من 0.50 م ، ويتم الحفر وفقا لمخطط النشأة المراد بناؤها ، ثم يتم إحضار الحجارة التي توضع جنباً إلى جنب لتضاف إليه ملاط الجبس لتقوية الحجارة ، وبنفس الطريقة حتى يتم بناء الأساس الذي يكون عادة أعلى من سطح الأرض وتختلف ارتفاعاته حسب عدة عوامل منها مدى وفرة الحجارة الكبيرة المخصصة لبناء الأساس أو حسب استواء الأرضية ...

وقد استعمل نوع واحد من الحجارة وهي الحجارة الكبيرة الحجم وهي حجارة اللوس المنتشرة الاستعمال بشكل واسع وهي غير منحوتة ، والتي أثبتت صلاحيتها وفاعليتها في مقاومة مختلف الظواهر الطبيعية من أمطار وحرارة وبرودة وقدرتها على حمل ثقل المبنى.

أما المونة المستعملة في تقويم الحجارة هي الجص أو الجبس الذي أثبت قدرته على تقويم الحجارة وكذا مقامته للعوامل الطبيعية.

1- آر تين ليفون ، زهير ساكو ، إنشاء المباني ، ط1 ، جامعة بغداد ، 1982 ، ص37

2- يتحدد عمق الأساس حسب عوامل عديدة أهمها : طبيعة التربة وطبقاتها الصالحة لتحمل أحمال المنشأ ، وكذا حالات الطقس وتعرض الأساسات إلى تأثيرات التمدد والتقلص ، ولكون مناخ المنطقة صحراوي ، واختلافات درجات الحرارة اليومية والفصلية متباينة ، وجب وضع الأساسات على عمق لا يقل عن 0.50 م ، وذلك لحمايتها من تأثيرات الاختلاف في درجة الحرارة . أنظر ، آر تين ليفون ، زهير ساكو ، المرجع السابق ، ص37

الفصل الثالث _____ مواد الإنشاء وخصائص البناء

ب- بناء الجدران

تعتبر الجدران الحاملة لعناصر المنشأة ، تخدم عدة أغراض ، فهي قادرة على تحمل أوزانها الذاتية ، وما يقع عليها من أوزان وحمولات سطح أو سقف المنشأة¹ ، كما تعمل على حصر مساحة معينة من الأرض أو المنزل ، وهي عزلة للصوت والحرارة وممانعة للرطوبة والمياه².

بعد أن يتم تجهيز الأساس ، يشرع في بناء الجدران وفق مخطط المنشأة المراد بناؤها ، بطريقة المزج .

يوضع خيط على جانبي الجدار المراد بناؤه بشكل طولي حتى يكون على استقامة واحدة وهذا للحفاظ على استقامة الجدار عند عملية البناء .

في المرحلة الثانية يوضع الملاط فوق الأساس (الملاط من الجبس) ، على طول الحائط

ثم العملية التالية هي وضع الحجارة فوق الجبس وتكون غير متجانسة من حيث الشكل أو الحجم شرط أن لا تتجاوز الخيط لتغطي مرة ثانية بنفس المادة أي الجبس وبنفس الطريقة حتى يتم بناء الجدار (الصورة رقم 42).

كما أن البناء باستطاعته أن يقوم بعملية متداخلة أثناء البناء أي أن وضع الحجارة والملاط يكونان تقريبا في وقت واحد بحيث يبني الجدار طوليا جزء بجزء وهذا يرجع إلى قدرة وخفة البناء . مع مراعاة ملء الفراغات بين الحجارة والأخرى

-
- 1- عماد محمد عدنان تنبكي ، مفردات العمارة والإنشاء ، وضوابط العمارة المعاصرة ، ط1، دار دمشق للطباعة والنشر ، دمشق 1990 ، ص6
2- آرتين ليفون ، زهير ساكو ، المرجع السابق ، ص192

الفصل الثالث ————— مواد الإنشاء وخصائص البناء

حتى نهاية البناء لأن الجبس يجف بسرعة -لتقويم الحجارة وإعطاء منظر جميل للجدار بحيث يكون مستويا وهذا راجع إلى قدرة البناء وخفة يديه لأن عملية البناء تتم باليد والكف . (الصورة رقم 42/36).

والحجارة المستعملة غير منتظمة الشكل والمقاسات لهذا فإن براعة البناء لها دور في اختيار الحجارة المناسبة لوضعها في المكان المناسب تبدأ بالحجارة الكبيرة الحجم حتى تكون لها القدرة على تحمل ثقل ما فوقها ولقدرة البناء على وضعها لأنها على ارتفاع يمكن البناء من وضعها بشكل ملائم، تليها حجارة أقل حجما حتى نهاية المبنى وهذا لأجل التخفيف من شدة الثقل، وقدرات البناء على حملها على مستوى معين من الارتفاع .

ولتدعيم الجدران خاصة الخارجية منها يقوم البناء بإنجاز دعامة من نفس المواد المستعملة متصلة مباشرة بالحائط وتبنى معه في نفس الوقت لكن تكون نائنة نحو الخارج من بداية الجدار أي أن سمكها أكبر من سمك الجدار وبشكل مائل حتى تستوي مع الجدار في الأعلى أي بنفس سمك الجدار الذي يفوق 0.35 م (الصورة رقم 44).

ومن الملاحظ أن الجدران الخارجية سمكها يفوق الجدران الداخلية وهذا راجع لتعرضها أكثر للعوامل الخارجية مثل الأمطار والعوامل البشرية مثل الإنسان.

بعدها يتم تلييس الجدران بمادة الجبس من الداخل والخارج ففي الداخل تكون ملساء أما في الخارج تكون بأصابع اليد والتي تترك آثارها من أجل إعطائها طابعا جماليا وهي منتشرة في مدينة وادي سوف حاليا وحتى في البناءات الحديثة وهذا ما يدل على حفاظ السوفي على عاداته .

وللوصول إلى الفضاء الداخلي للمنشأة عن طريق فتحات للأبواب أو للإنارة عن طريق النوافذ و التي لم تؤثر على متانة وصلابة الجدار الحامل أو التقليل من كفاءته

الفصل الثالث ————— مواد الإنشاء وخصائص البناء

الإنشائية نظرا لاستخدام جذوع النخل كعتبة تكون لها القدرة على تحمل وزن الجدار المبني فوقها أو حمولة سقف المبني .

ج : التسقيف (الصورة رقم 49)

يعتبر السقف عنصرا ضروريا لتغطية الغرف والوحدات السكنية ، فدوره الحماية من العوامل الطبيعية كالبرد ، وحرارة الشمس ، والرياح ، وقد أخذ السقف في المباني الإسلامية أشكالا متعددة ، فهناك أسطح مسطحة ، وأخرى مقببة¹.

و عمائر وادي سوف تكاد لا تخلو جميعها من عنصر القبة والتي تعرف باسم الأدماس، يتم تسقيفها عبر مراحل حيث يتم حفر كوات في الجدار يتوافق و حجم خشب جذوع النخل المستعمل بأطوال مختلفة حسب مخطط البناء وبين الحائط والآخر ويعرض 0.15م تقريبا ، تقابله كوات أخرى في الجهة المقابلة ليوضع فيهما الجذع طوليا ثم يتم تثبيتهما بملاط من الجبس لتجاورها أخرى موازية لها بنفس الكيفية على طول المساحة المراد تسقيفها وتكون المسافة بينهما من 0.60 م إلى 0.75 م (الصورة رقم 49)

في المرحلة التالية يوضع الملاط من الجبس فوقها بسمك لا يقل عن 0.20 م ثم تليها الحجارة وتتوالى العملية مع الانحناء معتمدة في بعض الحالات على جريد النخلة ، والتي يتم إنشاؤها بواسطة جريد النخل الأخضر لسهولة انحنائه حسب شكل التخطيط المراد انجازه على شكل نصف دائرة بالنسبة للقبة ، أو على قوس مستطيل بالنسبة للأدماس والتي تأخذ شكلا مستطيلا ، تكون متماسكة فيما بينها وتكون

1- يحي وزيري ، المرجع السابق ، الكتاب 3 ، ص 33

الفصل الثالث _____ مواد الإنشاء وخصائص البناء

معتمدة على جذوع النخل والجدران أو العقود والدعامات ، تبقى لفترة زمنية حتى تجف لينزع جريد النخل وجذوعه من تحتها لتعتمد على العناصر المعمارية الأخرى ، وبنفس الطريقة تنجز الأقواس .

وتكون بميل خفيف يسهل من عملية جريان مياه الأمطار ، التي تنتهي إلى قناة صرف المياه نحو الأرض . وبنفس الطريقة تم تسقيف جزء من بعض الشوارع .

و انتشرت القباب بشكل واسع خاصة في منتصف القرن التاسع عشر حتى سُميت وادي سوف بمدينة الألف قبة وقبة لاعتماد الناس في بناء بيوتهم على القبة التي أصبحت تشكل الطابع المعماري الخاص بوادي سوف¹.

ولهذا النوع من القباب مزايا مقصودة فرضتها طبيعة المنطقة، وذلك لأن شكل القبة يساعد على تبعثر أشعة الشمس المسلطة عليها، وتخفيف حدتها و يمنع تراكم الرمال.

ولتوسيع الحجرات الصغيرة المشيدة من قبة واحدة، استحدثت أقواس لإضافة قباب جديدة لغرض زيادة مساحة الدار، كما نُقلت إلى سوف طريقة جديدة لبناء الأسقف وهي "الأدماس"، وقد ساهم الضباط الفرنسيين الذين حكموا سوف منذ 1883 في تطوير الهندسة المعمارية باعتمادهم طرقاً وتقنيات متطورة لتدوير القباب والأقواس بدقة بالخيط والمسمار حيث يثبت المسمار بطريقة أوبأخرى عند قطر القبة المراد إنشاؤها ويلوى الخيط على يد البناء لياشر عملية تدوير القباب أو الأدماس حتى تحافظ على تناسق أجزاء القبة².

وفي المراحل الحالية استبدلت جذوع النخل بحديد السكك الحديدي في عملية التسقيف

يا من أعدت برسم الضاد قبتنا * إن القباب كحرف الضاد تحيينا

فلا حياة بدون الضاد مكرمة * فالضاد قبتنا شكلاً ومضموناً

1- من قصيدة الضاد قبتنا ، الشاعر السعيد المثردي ، مخطوط ديوان بوح الكثبان ، ص 11

2- لقاء مع السيد بوضياف مسعود ، مهندس معماري ، مهتم بالعمارة القديمة لوادي سوف

الفصل الثالث ————— مواد الإنشاء وخصائص البناء

ثالثاً: الزخرفة

منذ الأزل كان الإنسان يهتم بمأواه بتزيينه بزخارف متنوعة ومختلفة وبقي مرافقاً له عبر العصور حتى إن اختلفت وسائله¹ حيث كان يتفادى غضب الطبيعة ، ويضفي على مأواه نوعاً من الجمال للإحساس بالراحة .

وقد احتل المسلمون الريادة في زخرفة منشآتهم العمرانية بزخارف راقية ، فجاءت معبرة عن بيئتهم وحياتهم الاجتماعية ، كما يطلق العنان لمخيلته فأبدع وابتكر تاركاً بصماته على أغلب منجزاته²

وما يميز العمائر في القصور الصحراوية بغض النظر عن هندستها ، هو افتقارها إلى العناصر الزخرفية والتي يمكن أن تضي عليها مسحة جمالية ، كما تكاد تخلو من ميزات معظم المنشآت الإسلامية كالانسجام والتناسق بين أجزائها والرشاقة في تصميم عناصرها لذا توصف من طرف البعض بأنها بسيطة ، لكن تقييماً للجمال هو أمر نسبي ولا يخضع لمقاييس دقيقة ومضبوطة³.

والهدف من العمارة بالنسبة لمعماري القصور الصحراوية تكمن في تلبية حاجياتهم بجوانبها المتعددة والمختلفة ، ومن بينها الجمال الذي يهدف البناء إلى تحقيقها ، إذن البحث عن الجمال يأتي متوازياً مع البحث عن كافة الاحتياجات الإنسانية⁴.

1- عيد العزيز مرزوق (محمد) ، الفنون الزخرفية الإسلامية في المغرب والأندلس ، دار الثقافة ، بيروت ، ص 71

2- علي حملاوي ، المرجع السابق ، ص 304

3- رثيف مهنا ، وبحر ويس ، المرجع السابق ، ص 3

4- علي حملاوي المرجع السابق ، ص 307

الفصل الثالث ————— مواد الإنشاء وخصائص البناء

إن المواد المستخدمة في النماذج الزخرفية التي وجدت في مدينة وادي سوف لا تختلف عن تلك المواد المعروفة في العالم الإسلامي ، كالجص أو الجبس ، فعلاوة على استعماله كمادة لاحمة أو لتغطية الجدران العناصر المعمارية الأخرى ، فقد اتخذ المعماري كذلك كوسيلة للزخرفة لتجسيد كل ما تمليه عليه مخيلته والتي نفذت بطريقتين وهي زخارف غائرة وبارزة أو الزخارف المطلية والمتعددة الألوان¹.

ظهر هذا الفن بمدينة قمار بوادي سوف على يد بناء من المغرب الأقصى استدعاه الشيخ محمد العيد شيخ الطريقة التيجانية بعد استلامه المشيخة بزواوية تماسين عام 1260هـ/1844م، وذلك لبناء المسجد المجاور للزواوية وقد قام هذا البناء المغربي بتعليم نخبة من أهل قمار فن النقش على الجبس وقد برع منهم عمر قاعة الذي أصبح آية إعجاب فيما بعد حتى ذاع صيته في كامل أرجاء البلاد، وقد ساهم في نقش البريد المركزي في الجزائر العاصمة، كما قام بتعليم هذا الفن لبعض مساعديه، فبرز من تلامذته تيجاني قاعة الذي ساهم في نقش وزخرفة جل مساجد وادي سوف².

يمثل هذا الفن مجموعة من الزخارف المحفورة على الجبس، وتستعمل فيها نماذج تختلف من حيث الوصف والمعنى، فنجد:

1-العناصر الهندسية:

والتي أساسها الأشكال الهندسية المنتظمة المتداخلة والمتشابكة مع بعضها البعض، والتي أبداع فيها الفنان ، ولم تكن في غالب الأحيان مستقلة فقد تشكل في بعض الأحيان إطارا عاما لزخارف أخرى مثل محراب والمسجد العتيق والزواوية(الصورة 10-22-47).

1-علي حملاوي المرجع السابق ، ص307

2-لقاء مع السيد بوضياف مسعود ، مهندس معماري ، مهتم بالعمارة القديمة لوادي سوف

الفصل الثالث _____ مواد الإنشاء وخصائص البناء

2-العناصر النباتية:

والتي هي عناصر زخرفية مستمدة من الأوراق والفروع والأزهار وكل ما يحيط به من بيئته والتي كانت دافعا جعلته يلجأ إلى رسم النباتات بكل مكوناته من جذوع وأغصان وأوراق مع تحويره وتجريدها حتى بدت وكأنها ساكنة ويبرهن هذا الجمود على مقدرة الفنان السوفي وسيادته في مبدأ التجريد ، وقد شكلت الزخرفة النباتية أحد العناصر الأساسية في زخرفة بعض المنشآت بمدينة وادي سوف، ويظهر ذلك جليا في محراب المسجد العتيق والزواوية وعلى قبة الضريح في زواوية سيدي سالم (الصورة 10-22-33) والتي راعى فيها الفنان السوفي مبدأ التناظر والانسجام.

3-العناصر الكتابية :

والتي تتألف من الخط الكوفي أو النسخي والتي استمدت أغلبها من سور القرآن الكريم أو الأحاديث النبوية الشريفة أو أسماء الله الحسنى والتي ركز عليها الفنان السوفي في العمائر الدينية

خاصة حتى تزيد المكان قداسة وأكثر خشوعاً للمصلين ويظهر ذلك واضحاً على قبة الزاوية الضريح (الصورة 26-33).

4-الرسم بأصابع اليد:

المنتشرة على الجدران الخارجية للمنشآت المعمارية والتي تنجز بأصابع اليد أو آلة ما "كالمدرأة" على كامل الجدار حتى تعطيه نوعاً من الجمال لتزين به الشوارع والأزقة في كامل مدينة وادي سوف والتي مازالت منتشرة حتى الوقت الراهن (الصورة رقم 36)¹.

ويستعمل النقش على الجبس لنقش مساحات السطوح والجدران والسقوف والقباب والأعمدة. ولهذا الفن قواعد مستمدة من الطبيعة والأعمال الزخرفية القديمة.

1-لقاء مع السيد بوضياف مسعود ، مهندس معماري ، مهتم بالعمارة القديمة لوادي سوف

الفصل الثالث مواد الإنشاء وخصائص البناء

ومنها التوازن والتناظر والتشعب من نقطة أو من خط، والتكرار، وكلها قواعد أساسية يقوم عليها التكوين الزخرفي¹.

5-الهلال والنجمة(الصورة رقم 01-13-16-17-18-19)

وهو من العناصر التي تأثر بها الفنان السوفي فجسده في أعماله الفنية في مختلف العمانر ، إذ يعبر عند المسلمين عن مواقيت الحج والصيام. وقد ظهر هذا العنصر في بداية الفترة الإسلامية كشعار يدل على النصر للدين الإسلامي ، مرفقاً بنجمة خماسية أو سداسية والتي تهدف إلى تحقيق غاية ما يوهي ، علامة من علامات الاهتداء ليلاً لسكان الصحراء ، كما ترمز إلى الاتجاهات الخمسة أو للحماية من العين. وقد ظهرت النجوم في الفن الإسلامي منذ وقت مبكر ، وتفنن الفنان المسلم في رسمها حتى أصبحت من المميزات الرئيسية للفن الإسلامي.²

وظهرت النجمة والهلال في المدينة العتيقة لوادي سوف بشكل واسع خاصة في العمانر الدينية مثل قبة المسجد ومآذنه الأربعة ومداخله الأساسية "الأبواب" ومئذنة الزاوية ، (الصورة رقم 01-13-16-17-18-19-35). كما ظهرت النجمة في محراب المسجد العتيق لكن متعددة الأضلاع (الصورة رقم 10).

كما يوجد شكل آخر من الزخارف يعلو تيجان دعائم الصحن للمسجد العتيق والمتمثلة في سيف قبضته زينت بعناصر نباتية (الصورة رقم 53/48).

وخلاصة القول أن المعماري السوفي استطاع أن يتعامل مع بيئته ، فاستغل موادها وشكلها حسب احتياجاته ووفقاً لرغباته ووظفها توظيفاً محكماً فجاءت متقنة ورائعة الجمال ، كما أن فقر منشآتها من الزخرفة هذا لا تعني سداجة عمانرها، وإنما

1-لقاء مع السيد بوضياف مسعود ، مهندس معماري ، مهتم بالعمارة القديمة لوادي سوف

2-علي حملاوي ، المرجع السابق ، ص115-116

الفصل الثالث _____ مواد الإنشاء وخصائص البناء

تترجم المستوى الثقافي الراقى لأهل وادي سوف ، فالقبة لوحدها كعنصر معمارى أو فنى تبرهن عن المستوى الثقافى العالى وحسه الجمالى و التى كلها مستمدة من الدين الإسلامى ودلالاتها على مدى ارتباطهم الوثيق بما أفرزته الحضارة الإسلامية من أقطاب متعددة من العالم الإسلامى.

الفصل الثالث _____ مواد الإنشاء وخصائص البناء

خلاصة الفصل الثالث

من خلال دراستنا لخصائص البناء استنتجنا ما يلى :

- أن أدوات البناء هى مواد محلية اثبتت فاعليتها وتكيفها مع الوسط المناخى الجاف ، المتمثلة فى مواد متوفرة فى محيطهم القريب وهى حجارة من نوع اللوس ذات التركيب الجبسى وهى حجارة صلبة غير نفوذة للماء.

- يستعمل الجبس لربط الحجارة ، ويتم الحصول على الجبس بحرق صخرة التافزة المتوفرة بشكل واسع فى المنطقة .

- البناء كان وفقا لطريقة المزج بسمك لا يقل عن 0.40م ، وهذه التقنية لها وظيفتها وهى منع تسرب الحرارة أو البرودة نحو الداخل أى أنها تحافظ على الجو داخل المسكن .

- يتم تلبيس من الداخل والتي تكون ملساء بكف اليد ومن الخارج تكون بأصابع اليد والتي تظهر فى كثير من المباني أو الشوارع وهى نوع من الزخارف ، كما عمل البناء السوفى بإضفاء لمسة فنية لتزيين المنشآت بالأقواس وبعض النقوش للزينة.

-أما التسقيف فيتم باستعمال جذوع النخيل المتوفرة في المنطقة والتغطية بواسطة جريد النخيل والجبس ، وإذا كان السقف يتشكل من قباب أو أدماس فهي تنجز مباشرة على الجدران الأربعة ، وتبنى القبة أو الأدماس بحجارة اللوس الصغيرة لأنها خفيفة الوزن ويتم الربط بينها بواسطة مادة الجبس ، وفي بعض الأحيان تترك فتحات في القبة للتهوية والإنارة.
وهذه التقنية في التسقيف - القبة - تتلاءم مع طبيعة المنطقة الحارة خاصة الرياح ومن وظائفها : عكس أشعة الشمس ، منع تراكم الرمال على الأسقف ، وتوزيع الهواء الداخلي من وإلى الخارج.

الخاتمة

المدينة العتيقة بوادي سوف _____ الخاتمة

الخاتمة

إن الدراسة التي قمنا بها حول المدينة العتيقة لوادي سوف تمكننا من استخلاص جملة من النتائج نلخصها فيما يلي :

إن المدينة هي إحدى ولايات الجنوب الشرقي للجزائر ، يغلب عليها الطابع الرملي مع وجود هضاب حجرية وشطوط وطبقة سطحية من الماء.

يسودها المناخ الصحراوي الذي يتميز بالجفاف ، رياحها إما ذات حرارة شديدة صيفا أو باردة شتاء ، لذا فالغطاء النباتي قليل جدا ماعدا واحات النخيل.

أما تاريخ المنطقة نستنتج أنها قديمة ، حيث تعاقبت عليها عدة حضارات تاريخية منذ ما قبل التاريخ مرورا بالعصور القديمة ، فالصور الإسلامية حيث وصل إليها المسلمون بقيادة حسان بن النعمان ، كما شهدت فترة الحكم العثماني في الجزائر في العصور الحديثة ، كما وصل إليها الاحتلال الفرنسي عام 1872م فعرفت مقاومة محلية ضد الوجود الفرنسي إلى غاية الثورة التحريرية.

عمران المدينة بني انطلاقا من معطيات جغرافية ، واقتصادية ، نظرا لجفاف المنطقة لكن المياه متوفرة في باطن الأرض مما ساعد على الاستقرار والقيام بالنشاط الفلاحي ، والتحكم حتى في شكل الشبكة العمرانية وتوسعاتها ، كما نضيف إلى ذلك العنصر القبلي أو العروش الذي ساهم في تشكيل النسيج العمراني للمنطقة بحيث نجد أحياء حسب العروش الموجودة مثل المصاعبة والأعشاش ، أولاد أحمد وحتى الجانب المناخي أدى إلى تراص المباني حتى يتجاوب مع حرارة وجفاف المنطقة

التركيب العمراني للمدينة يغلب عليه الطابع الإسلامي ، فهو يتدرج من البيئة العامة إلى الخاصة ، وتكون الانطلاقة من الساحة العامة المجال الأوسع ، الذي يمثل مركزا لتجمع السكان في المناسبات الكبرى ، كما توجد بها مختلف المباني العمومية ذات الطابع الديني والاجتماعي فيها المسجد، الذي يعتبر النواة الرئيسية للمدينة، لأن

المدينة العتيقة بوادي سوف _____ الخاتمة

التجمعات الرئيسية تتموقع حوله مثل ما هو الشأن بالنسبة للمسجد العتيق بوادي سوف والذي عرف استقرار السكان من حوله، والذي يتجمع فيه المصلون في الأعياد وأوقات الصلاة ، إلى جانب زاوية سيدي سالم التي لها تقريبا نفس دور المسجد إلى جانب أنها تقوم بدور التعليم ..، نظيف كذلك المقبرة التي يميزها وجود مصلى جنازي بها لتأدية صلاة الجنازة أو حتى صلاة العيدين..

تتوفر المدينة القديمة على سوق شعبية يوفر كل ما يحتاجه السكان على اختلاف مستوياتهم وما يميزها هو شوارعها التي تربط بين مختلف أحياء المدينة وعناصرها المعمارية وغالبا ما يكون الشارع أوسعاً ليربط الساحة أو الحي بالأحياء الأخرى ، ثم يأتي الزقاق ذو الشكل الملتوي والذي يساعد على تكسير توجيه الرياح والنظر عند السير ، فيحقق نوعاً من الحشمة، ثم نصل إلى الطريق المغلق الذي يؤدي إلى سكن واحد المنغلق على الخارج والمنفتح على الداخل ، بحيث نجد في المدخل ما يسمى بالسقيفة التي تعتبر الفتحة الوحيدة على الخارج ، لتصل إلى الفناء أو ما يعرف بالحوش ، وهو فضاء لممارسة مختلف النشاطات المنزلية للمرأة بكل حرية وحتى مجال للعب الأطفال ، وتحقيق حركية داخل المنزل ، وتحقيق جانب روعي يتمثل في ارتباط الفرد بالسماء ، وغالبا ما يتم حفر بئر داخل هذا الفناء .

أما أدوات التعمير والبناء فهي مواد محلية أثبتت فاعليتها وتكيفها مع الوسط المناخي الجاف ، المتمثلة في مواد متوفرة في محيطهم القريب وهي الحجارة المتواجدة بكثرة من نوع اللوس ذات التركيب الجبسي وهي حجارة صلبة غير نفوذة للماء ، يستعمل الجبس لربط الحجارة ، ويتم الحصول على الجبس بحرق صخرة التافزة المتوفرة بشكل واسع في المنطقة ، وتبنى الجدران وفقا لطريقة المزج بسمك لا يقل عن 0.40 م ، وهذه التقنية لها وظيفتها وهي منع تسرب الحرارة أو البرودة نحو الداخل أي أنها تحافظ على الجو داخل المسكن، ويتم تلييسها من الداخل والتي تكون ملساء بكف

المدينة العتيقة بوادي سوف _____ الخاتمة

اليد ومن الخارج تكون بأصابع اليد والتي تظهر في كثير من المباني أو الشوارع وهي نوع من الزخارف ، كما عمل البناء السوفي بإضفاء لمسة فنية لتزيين المنشآت بالأقواس وبعض النقوش للزينة.

أما التسقيف فيتم باستعمال جذوع النخيل المتوفرة في المنطقة والتغطية بواسطة جريد النخيل والجبس ، وإذا كان السقف يتشكل من قباب أو أدماس فهي تنجز مباشرة على الجدران الأربعة أو معتمدة على قضيب حديدي يشبه حديد السكك ، وتبنى القبة أو الأدماس بحجارة اللوس الصغيرة لأنها خفيفة الوزن ويتم الربط بينها بواسطة مادة الجبس ، وفي بعض الأحيان تترك

فتحات في القبة للتهوية والإنارة ، وهذه التقنية في التسقيف تتلاءم مع طبيعة المنطقة الحارة خاصة الرياح ومن وظائفها : عكس أشعة الشمس ، منع تراكم الرمال على الأسقف ، وتوزيع الهواء الداخلي من وإلى الخارج.

إذن مدينة الوادي بطابعها المعماري القديم ، كانت تمثل بحق مدينة إسلامية صحراوية ، رغم التكنولوجيا البسيطة التي بنيت من خلالها ، إلا أنها راعت شرط أساسي في ذلك هو تكيف الإنسان مع بيئته الجافة ، وتخطيطها نابع من خصوصيات المنطقة وعاداتها وتقاليدها في إطار المبادئ الإسلامية ، وبمواد محلية غير مكلفة ومن إنتاج المنطقة .
أما اليوم نلاحظ أن المدينة تعيش حركة عمرانية سريعة غير مدروسة هدمت الأنسجة القديمة للمدينة ، فانعدم الطابع المعماري المميز للمنطقة وأصبح لدينا تجمعات سكانية بدون هوية (الصورة رقم14).

لهذا نطلب من المسؤولين والساهرين على هذا القطاع أن يولوا اهتماما لهذه المنشآت والمحافظة عليها ، لأنها إلى جانب دورها السياحي والتي تدر نفعا لاقتصاد بلادنا ، فإنها كذلك تعتبر ذاكرة تاريخنا وحضارتنا .

ملخص المذكرة

المدينة العتيقة بوادي سوف _____ ملخص المذكرة

إن الظاهرة التعميرية لاشك أنها تخضع لتنوع واختلاف البيئات وثقافات الشعوب التي دخلت تحت راية الإسلام والتي ساهمت في تشكيل العمارة الإسلامية عامة و الصحراوية خاصة ، حيث يجمع بين هذه المنجزات طابع جسده روح الدين الإسلامي. وبفضل تظافر هذه العوامل أنتج السوفي عمارة تعد نموذجا رائعا من العمارة الصحراوية فبطابعها المعماري القديم كانت ولا زالت تمثل المدينة الإسلامية الصحراوية ، إذ تكيف الإنسان مع بيئته الجافة متبنيا تخطيطا عمرانيا نابعا من خصوصيات المنطقة وعادات وتقاليد سكانها مراعين المبادئ الإسلامية في ذلك. ونظرا لقيمتها التاريخية والمعمارية التي تحملها فقد قرر تصنيف مئذنة زاوية سيدي سالم من قبل منظمة اليونيسكو سنة 2008 م ضمن التراث العالمي .

لذلك وقع اختيارنا على هذه المدينة لأنها في حاجة للتعريف بها وعرض صورة واضحة عنها ولدفع الدارسين في هذا الميدان إلى الانشغال بمثل هذه المواضيع. إذ تعد ذات أهمية كبيرة من الجوانب التاريخية، والتراثية، والاقتصادية
ومن هذا المنطلق فإن الأسباب الباعثة على اختيار الموضوع
- محاولة تقديم بحث يليق بما تكتسبه المدينة من أهمية.
- رغبة المعرفة أكثر في هذا النوع من العماثر، لذا توجهت للبحث في أسرار العمارة الإسلامية بهذه المدينة.

- معاناة بعض المعالم الأثرية من الإهمال رغم أنها لا زالت تحافظ على وظيفتها الأصلية.
- التعريف بآثار هذه المنطقة وأهميتها لدفع المهتمين بهذا المجال وخاصة من أبناء المنطقة للعناية بها أكثر، باعتبارها شاهدا ماديا لحضارات نمت وازدهرت في تلك المناطق، وعاملا مشجعا على السياحة في بلادنا.
إن طبيعة التساؤلات التي يطرحها الموضوع تفرض علينا اختيار النهج الذي سنسلكه في البحث ويتعلق الأمر ب:

المدينة العتيقة بوادي سوف _____ **ملخص المذكرة** المنهج النظري: الذي يشمل الإطلاع على مختلف المصادر والمراجع و البحوث والدراسات التي تخدم الموضوع، والتعرف على المواقع التي هي قيد الدراسة.
المنهج التطبيقي: ويشمل الزيارات الميدانية للمواقع المراد دراستها و الذي يضم دراسة وصفية لهذه المعالم وتقنيات ومواد الإنشاء، كما تم تدعيمه بصور وخرائط.
ان الخوض في هذا الموضوع لم يخل من الصعوبات والعقبات، فقد واجهتني أثناء دراستي لهذا الموضوع مجموعة من الصعوبات والعقبات أهمها:
- قلة المصادر والمراجع التي تتعلق بالجانب التاريخي خاصة في الفترة الإسلامية والتي تميزت بالغموض في بعض فتراتها، حتى وان وجدت فهي تعتمد على سرد بعض الأساطير مما يجعل الاستفادة منها في هذا الموضوع منعدمة.
- أغلب العماثر المدنية أهلة بالسكان أو مغلقة مما شكل عائقا أمامي في أخذ الصور والمقاسات من داخل المنازل ثم الرفع المعماري لها.
- بعد المنطقة شكل عائقا في انجاز هذا الموضوع وعدم الدراية ببعض المناطق لذا أقضي وقتا كبيرا في البحث.

وقد اعتمدنا في هذا البحث على مجموعة من المصادر والمراجع أهمها:
- القرآن الكريم
- مؤنس، حسين: تاريخ المغرب وحضارته من قبل الفتح العربي إلى بداية الاحتلال الفرنسي للجزائر من ق 6 إلى ق 19م
الذي تناول أصل البربر الذين استوطنوا بلاد سوف ويعطي تعريفا وافيا عن منطقة الجريد وكذا الفتوحات الإسلامية في المغرب العربي.
-- الشيرزي، عبد الرحمن بن نصر: كتاب نهاية الرتبة في طلب الحسبة
- ابن خلدون، عبد الرحمن: كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب العجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج4
- المقدمة

المدينة العتيقة بوادي سوف _____ **ملخص المذكرة**

-ابن أبي الربيع أحمد بن محمد : سلوك المالك في تدبير الممالك
وهم من رواد الفكر العمراني الإسلامي، تناولوا شروط بناء المدن الإسلامية، وإسقاط هذه
الشروط على مدينة وادي سوف
العوامر، إبراهيم: الصروف في تاريخ الصحراء وسوف
الذي فصل في اصل تسمية المدينة، كما تناول تاريخ وجغرافية المدينة ، والتجمعات السكانية
التي استوطنت مدينة سوف وخارجها ومفصلا في نسب القبائل التي تسكن اقليم وادي سوف.
-حملاوي ،علي: نماذج من قصور منطقة الأغواط
الذي افادني في دراسته التحليلية والأثرية للمنشآت الدينية والمدنية و مواد تقنيات
البناء في المناطق الصحراوية
كما اعتمدت على مراجع باللغة الفرنسية والتي أفادنتي كثيرا من خلال دراساتهم
التفصيلية لمدينة وادي سوف من الجانب التاريخي والجغرافي وكذا الجانب العمراني، أهمها:

-Andrei Voisin:

saharienne Région d'une le Souf monographie

-Ahmed Nadjah:

le Souf des Oasis

في محاولة الإلمام بالموضوع من جميع جوانبه وحيثياته رأينا من المناسب تقسيم البحث إلى:
مقدمة تناولت التعريف بالموضوع ومدخل -تطرق في البحث التاريخي والجغرافي
بشكل مفصل و الشروط الأساسية لتأسيس المدن وعلاقتها بنشأة مدينة وادي سوف ، ثم ثلاثة
فصول بعرض مفصل لكل فصل ونتائجه
متناولا دراسة تحليلية وميدانية للمنشآت الدينية والمدنية.ومواد وتقنيات البناء والزخرفة التي
ميزت طراز البناء في وادي سوف.

المدينة العتيقة بوادي سوف _____ **ملخص المذكرة** وأخيرا أنهيت البحث بخاتمة
لأهم النتائج المتوصل إليها ، ولتكون أكثر وضوحا دعمتها بمجموعة من خرائط ، وأشكال ،
وصور، و فهارس للأعلام والأماكن الواردة في البحث ، وأخيرا قائمة بأسماء المصادر
والمراجع المعتمدة في البحث ، و فهرست للمواضيع المتناولة فيه.
توصلنا في دراستنا لمدينة وادي سوف إلى عدة نتائج نرجو أن تكون ذات قيمة في مجال العمارة
والعمران في الصحراء نفتصر على ذكر أهمها:

- بالنسبة للتسمية فالبعض يرى أن سوف تعني الكثبان الرملية .
أما في اللغة العربية فإن كلمة "السوف" أو "السائفة" جانب من الرمل اللين والجمع سوائف،
وعند تحريك الرياح للرمل فتدعى المسفسة .فأطلق على الرمل اسم "السافي" .
وذكر ابن خلدون أن قبيلة ماسوفة البربرية قد مرت بهذه الأرض، فلعلها أقامت بها زمنا
فعرفت باسمها

إن المدينة هي إحدى ولايات الجنوب الشرقي للجزائر
يحدّها من الشرق الحدود التونسية ، ومن الجنوب واحات الحدود الليبية وورقلة، ومن الغرب
وادي ريغ و ورقلة، ومن الشمال بلاد الزاب بسكرة يغلب عليها الطابع الرملي مع وجود هضاب
حجرية وشطوط وطبقة سطحية من الماء.

يسودها المناخ الصحراوي الذي يتميز بالحرارة العالية والجفاف مع تساقط قليل جدا ، رياحها إما
ذات حرارة شديدة صيفا أو باردة شتاء ، لذا فالغطاء النباتي قليل جدا ماعدا واحات النخيل.
أما تاريخ المنطقة فهي قديمة ، حيث تعاقبت عليها عدة حضارات منذ ما قبل التاريخ وتدل
الشواهد التاريخية على وجود الحياة بالمنطقة، حيث عثر عام 1957 م على

هيكل عظمي لفيل من نوع " الماموث " شرق بلدة حاسي خليفة وهو الآن محفوظ في متحف باردو بالجزائر العاصمة .

المدينة العتيقة بوادي سوف _____ ملخص المذكرة مرورا بالعصور القديمة حيث سكن وادي سوف الليبيون والإثيوبيون ثم الجيتوليون، كما تواجد شعب "الغرامانت" وبلغ الشعب الفينيقي أرض سوف ، فكانت مساكنهم في وادي الجر دانية . وبعد انتصار الرومان على القرطاجيين بدأت سياسة التوسع الروماني بالمنطقة. فاكتشفوا سوف وحلوا بها أما فترة العصور الإسلامية فقد وصل إليها المسلمون بقيادة حسان بن النعمان .فكان لاستشهاد عقبة بن نافع في تاهودة و زهير بن قيس في برقة آثارا سيئة في نفوس المسلمين والتي ترتب عنها فقدان المسلمين لإفريقيا .

وبالرغم من ذلك فقد صمم عبد الملك بن مروان إرسال جيش لإتمام فتح إفريقيا، فاختار رجلا من خيرة رجال بني أمية وهو حسان بن النعمان الغساني الذي خرج من دمشق سنة (73هـ/ 692م) إلى مصر ليخرج منها إلى افريقية سنة (74هـ/693م) ودخل في نفس السنة القيروان أين تم القضاء على الروم وسلطانهم في قرطاجنة عاصمة افريقية .

بعد ها قرر القضاء على مقاومة البربر، وهنا تفاجأ حسان ومن معه بظهور زعيمة بربرية خطيرة من قبيلة جراوة الزناتية .هذه المرأة تسمى الكاهنة . التي بدأت بتخريب الأرض في طريقهم ، ضنا منها أنهم لا يقصدون إلا المغانم ، فتعرضت المنطقة الصحراوية إلى الظلم والاضطهاد الذي سلطته الكاهنة على الناس ومنها سوف.

رغم ذلك تقدم العرب نحو الكاهنة وأدركوها في موضع على نهر بين عين البيضاء وتبسه انهزم فيه حسان الذي انسحب إلى المشرق بجوار قصور قديمة من حيز برقة .

وبعد خمس سنوات من الانتظار وصلت حسان الإمدادات من دمشق ، فتحرك إلى افريقية سنة (79هـ/698م) ، وعرف أن عامة أهل افريقية والمغرب الأوسط في خوف من الكاهنة وما تفعله بالبلاد، فنتشع حسان بهذه الأخبار وسار نحو إفريقيا فدخل قابس ثم اتجه إلى الغرب مخترقا إقليم الجريد، ثم دخل المغرب الأوسط من الطريق الصحراوي .

المدينة العتيقة بوادي سوف _____ ملخص المذكرة

فحدث لقاء أول بين قوات الكاهنة وبعض قوات حسان في افريقية بين سوسة وصفاقص ، انهزمت فيه الكاهنة وفرت بقواتها إلى المغرب الأوسط معتصمة بجبال الأوراس هذا اللقاء أخاف الكاهنة وفتح عينيها على رجحان الكفة للعرب

وكان اللقاء الحاسم بين قوات المسلمين والكاهنة في موضع من جبال الأوراس، انهزمت فيها الكاهنة التي هربت متحصنة ببئر لكن حسان لحق بها وقتلها وعرف ببئر الكاهنة (بئر العاتر) وتمكن ومن معه من كسر شوكة المقاومة البربرية بصفة نهائية سنة (80هـ/699م)

وبذلك استحق حسان بن النعمان أن يلقب بالفتاح الحقيقي وناشر الإسلام في تلك الربوع

مرت وادي سوف بمراحل عاشت فيها تحت ظل الدويلات الإسلامية بداية بـ:

الدولة الرستمية، وهي أول دولة قامت للمسلمين بالمغرب الأوسط بعد حركة الفتح الإسلامي.ثم دولة الأغالبة .ليدخل إقليم سوف تحت سلطة دولة الموحدين

وبعد تفكك الدولة الموحدية نشطت حركة الهجرة وأخذت القبائل تتوافد على سوف آتية من

تونس ومنها قبيلة طرود

كما شهدت فترة الحكم العثماني في الجزائر في العصور الحديثة، ووصل إليها الاحتلال الفرنسي عام 1872م فعرفت مقاومة محلية إلى غاية الثورة التحريرية. سكانها هم من البربر المنتمون إلى أكبر القبائل آنذاك وهي قبيلة زناتة وبروز قبيلتي العدوانيين والطرود الذين سيطروا على المنطقة. أن المدينة بنيت وفق الشروط التي وضعها رواد الفكر العمراني الإسلامي اختيار مواقع المدن وتخطيطها ومواضعها، نلخصها فيما يلي: فأغلب المنازل في وادي سوف كانت تحتوي على بئر إما داخل المنزل أو بئر للعامة. وبالتالي يسوق إليها الماء العذب من غير عسف.

المدينة العتيقة بوادي سوف ————— ملخص المذكرة

مدينة وادي سوف تتدرج ضمن نطاق الجريد والذي تنتشر به أشجار النخيل أي أنها تتوفر على مراعي للماشية التي تشكل مصدرا رئيسيا للثروة والغذاء أما الاحتطاب ففيه مصدرا للوقود. إذن فهي قريبة مما تدعوا إليه الحاجة من المراعي والاحتطاب . بني المسجد العتيق -مسجد سيدي المسعود- وسط المدينة العتيقة ليتعرف على جميع أهلها - أولاد أحمد -الأعشاش -المصاعبة وبما أن سكان وادي سوف قد تركبوا من ثلاثة قبائل متميزة تختص كل واحدة منها بمجال محدود هي

- أولاد أحمد ويسكنون في الجهة الجنوبية لمدينة وادي سوف

-الأعشاش الذين استوطنوا الجهة الشرقية لمدينة وادي سوف

-المصاعبة القاطنين بالجهة الشمالية والغربية من المدينة

فميز بين قبائل ساكنيها بالأ يجمع أصدادا مختلفة متباينة.

طريق القوافل ومحطاتها التي تعبر المغرب من طرف إلى طرف لذا كانت لطرق الصحراء في المغرب أهمية اقتصادية ، فانتقل إليها أهل العلم والصنائع وضمان حصول الإنسان على حاجاته من الموارد الغذائية بلا عقبات .

ومن خلال الدراسة الوصفية التحليلية للعمارة الدينية استخلصنا ما يلي :

توجد بها مختلف المباني العمومية ذات الطابع الديني ففيها المسجد، الذي يعتبر النواة الرئيسية للمدينة. إلى جانب زاوية سيدي سالم التي لها تقريبا نفس دور المسجد إلى جانب أنها تقوم بدور التعليم. وبذلك تتوافق إلى حد كبير مع تخطيط المدن الإسلامية.

احتواء المسجد والزوايا على جل العناصر المعمارية المعروفة في المباني الإسلامية عامة ، كما امتاز بالبساطة الفنية دون تعقيد.

يتكون الجامع العتيق بوادي سوف من بيت للصلاة وصحنين و مiazza وثلاث غرف ذو شكل مستطيل عرضه أكبر من عمقه. واعتقد أن البناء أراد من وراء ذلك إعطاء فرصة

المدينة العتيقة بوادي سوف ————— ملخص المذكرة

لعدد كبير من المصلين للانضمام إلى الصف الأول وأهم مكوناته المعمارية:

يتكون الصحن من دعائم أسطوانية الشكل ، مزودة بتيجان تفصل بين الدعامة والعقد.

ومن مميزات دعائم المسجد هي الخشونة وكثرة العدد، والسبب من وراء ذلك يكمن في إمكانية حمل السقف بكل سهولة وتوزيعه على كافة العناصر المعمارية. كما يضاف على المسجد جوا من القدسية وهو ما يبعث في روح المصلي نوعا من الرهبة والخشوع

وبالمسجد العتيق اهتم البناء بإنجاز العقد الحدي في كل أماكن المسجد لتوزيع ثقل السقف على الركائز والجدران، ولسهولة إنجازها حيث لا يتطلب سوى جريد النخل الأخضر حتى يتسنى انحاؤها، ليوضع في المكان المراد بناؤه وتغطي بطبقة من الجبس تليها الحجارة ويحتوي على سبعة عشر بلاطة منها تسع بلاطات باتجاه جدار القبلة، وثمانية موازية للمحراب يولج إلى بيت الصلاة عبر أربعة أبواب من الخشب في اتجاهين مختلفين متقابلين في الجدار الشمالي والجنوبي .

و بما أن الهواء والضوء ضروريان للحياة ومع ارتفاع في درجات الحرارة استوجب اللجوء إلى عناصر معمارية لتكييف الهواء داخل المباني، باستخدام الفتحات والنوافذ لخلق مجري هوائي.

يحتوي بيت الصلاة على خمسة نوافذ من الخشب اثنان في الجهة الشمالية وثلاثة في الجهة الجنوبية باتجاه الصحن الرئيسي، لها نفس التصميم أما الجدار الغربي يحتوي على أربعة فتحات سداسية الشكل لاستقطاب كمية من الضوء وتهوية بيت الصلاة أما محراب المسجد العتيق يتجه نحو الشرق بنحو مترين، شكله مجوف تعلوه نصف قبة ملساء، يتواجد في الأسكوب الخامس، له عقد محذب مزخرف بأشكال هندسية تشبه خلية النحل، هذا العقد يعتمد على أربعة أعمدة، ثنائية

المدينة العتيقة بوادي سوف _____ ملخص المذكرة

منبر الجامع العتيق فهو متحرك يعتمد على عجلات لتسهيل عملية تحريكه، وهو عبارة عن أثاث صنع من الخشب يتكون من ستة درجات أما بالنسبة لجلسة الخطيب فهي مربعة الشكل يتميز مدخله بوجود عمودين ينتهيان بعقد نصف دائري، أما على الجانبين فهو مكون من أشكال هندسية متصلة بعضها البعض يحتوي المسجد العتيق على قبة تقع أعلى المحراب، تتخللها ثمانية فتحات للتهوية والإنارة، أخذت شكل نصف دائري برفقة مئذنة، مجردة من الزخرفة من الخارج يحتوي المسجد العتيق على أربعة مآذن تقع في الزوايا الأربع للمسجد، تتميز بنفس المقاسات العامة، تتكون من بدن و جوسق مربع الشكل ما عدى الثانية فهو دائري تختلف اختلافًا واضحًا من حيث الشكل والتصميم الهندسي للجوسق والفتحات التي تتخللها المآذن الأربعة . أما الزاوية فقد بدأ تأسيسها سنة 1210هـ على يد رائد الطريقة العزوية الرحمانية في وادي سوف الوالي الصالح الشيخ سيدي سالم بارشاد من شيخه سيدي علي بن عمر مؤسس زاوية طولقة

تقع الزاوية في الجزء الشرقي للأعشاش تتكون من مسجد يعلوه غرف للطلبة وضريح ومكتبة متنوعة دينية علمية وتاريخية، و غرف عابري السبيل وبيوت لشيخ الزاوية وأبناء عمومته ومئذنة، وتعرضت أجزاء الزاوية للتجديد كلياً سنة 2005م ماعدا المئذنة تقع المئذنة في الجهة الشرقية للزاوية وهي من أقدم المباني في وادي سوف وهي مربعة تتكون من قاعدة وبرجين ينتهي البرج الأول في أركانه الأربعة بشرفات أما البرج الثاني فعبارة عن جوسق

ويصعد المؤذن الى الجوسق عبر سلم دائري حول محور ارتكازي مربع الشكل، تتخلل المئذنة فتحات وكوات للإنارة وإدخال الضوء .

المدينة العتيقة بوادي سوف _____ ملخص المذكرة

من خلال دراستنا للمنشآت المدنية نستنتج ما يلي :

ما يميز المدينة العتيقة هو شوارعها التي تربط بين مختلف أحياء المدينة وغالبا ما يكون الشارع أوسعاً ليربط الساحة أو الحي بالأحياء الأخرى

ثم يأتي الزقاق ذو الشكل الملتوي والذي يساعد على تكسير توجيه الرياح والنظر عند السير ، فيحقق نوعاً من الحشمة

ثم نصل إلى الطريق المغلق الذي يؤدي إلى سكن واحد المغلق على الخارج والمفتوح على الداخل

بحيث نجد في المدخل ما يسمى بالسقيفة التي تعتبر الفتحة الوحيدة على الخارج ، وتكون مستوية بحائط يكمن دورها في حجب الرؤية على من يكون في الخارج لمن هم في الداخل من أهل البيت لتأكيد حرمة الأسرة، كما شيدت بجانبها حجرة سُميت " دار السقيفة " وهي عبارة عن غرفة استقبال للضيوف

لتصل إلى ما يعرف بالحوش ، نسبة إلى الفضاء الواسع في وسط المنزل، وهو عبارة عن مساحة مكشوفة تتوسط المنزل يأتي مباشرة بعد السقيفة ، وهو القلب النابض بالحركة الداخلية لأفراد الأسرة، ومنه ينتقلون لمجموع الغرف أو الفضاءات الأخرى كما يساعد على إمداد مجموع الغرف بالضوء، وفي هذا الصحن تفتح كل المرافق مثل السباط وهي غرفة مفتوحة للحوش، وفي البيت عادة سباط في الجهة الجنوبية يخصص لفصل الصيف ، وآخر في الجهة الشمالية ويخصص لفصل الشتاء.

ويوجد في الحوش بئر في الجهة الشرقية

نضيف إلى ذلك العنصر القبلي الذي ساهم في تشكيل النسيج العمراني للمنطقة وحتى الجانب المناخي أدى إلى تراص المباني حتى يتجاوب مع حرارة وجفاف المنطقة

تتوفر المدينة على سوق شعبية توفر كل ما يحتاجه السكان على اختلاف مستوياتهم

أما تقنيات ومواد البناء نوجزها فيما يلي:

أن أدوات البناء هي مواد محلية أثبتت فاعليتها وتكيفها مع الوسط المناخي الجاف ، المتمثلة في مواد متوفرة في محيطهم القريب وهي:

المدينة العتيقة بوادي سوف ————— ملخص المذكرة

حجارة من نوع اللوس ذات التركيب الجبسي وهي حجارة صلبة غير نفوذة للماء.

يستعمل الجبس لربط الحجارة ، ويتم الحصول على الجبس بحرق صخرة التافزة. وتتميز هذه المادة بقدرتها على التكيف مع العوامل الطبيعية، كما تعد حاجزا واقيا ضد الحرائق، ومنع تسرب الحرارة أو البرودة نحو الداخل أي أنها تحافظ على الجو داخل المسكن

عناصر النخيل تستعمل في صناعة الأبواب ، بعد تحضيرها حتى تصبح جاهزة للاستعمال- والمغطاة بصفائح من القصدير، كما تستعمل في عملية التسقيف كأعمدة أو عقود أو تستعمل كسلالم داخل المنازل

أما جريد النخيل يستغل كمادة مساعدة لتسقيف المنازل حيث يفرش ليضع فوقه الحجارة والجبس وكذا تشكيل السقائف لتحجب أشعة الشمس مثل الشوارع المغطاة كما يستعمل في صناعة الأبواب وتقنية مساعدة لعملية البناء ، كما يستعمل كسور لحماية البساتين .

البناء كان وفقا لطريقة المزج بسمك، وهذه التقنية التي يستعمل فيها مواد مختلفة وغير منتظمة الشكل والمقاسات واستعملت بشكل واسع لأن المادة اللاصقة هي الجبس الذي يجف بسرعة وهو يلائم هذه التقنية في البناء

أما التسقيف فيتم باستعمال جذوع النخيل والتغطية بواسطة جريد النخيل والجبس ، وإذا كان السقف يتشكل من قباب أو أدماس فهي تنجز مباشرة على الجدران الأربعة ، وتبنى بحجارة

اللوس الصغيرة لأنها خفيفة الوزن ويتم الربط بينها بواسطة مادة الجبس ، وفي بعض الأحيان تترك فتحات في القبة للتهوية والإنارة وهذه التقنية في التسقيف - القبة - تتلاءم مع طبيعة المنطقة الحارة خاصة الرياح ومن وظائفها : عكس أشعة الشمس ، منع تراكم الرمال على الأسقف ، وتوزيع الهواء الداخلي من وإلى الخارج.

المدينة العتيقة بوادي سوف ————— ملخص المذكرة

أما العناصر الزخرفية التي وجدت في مدينة وادي سوف لا تختلف عن تلك العناصر المعروفة في العالم الإسلامي والتي تتمثل في:

- العناصر الهندسية : وهي الأشكال الهندسية المنتظمة المتداخلة والمتشابكة مع بعضها البعض، والتي أبدع فيها الفنان ، ولم تكن في غالب الأحيان مستقلة فقد تشكل في بعض الأحيان إطارا عاما لزخارف أخرى مثل محراب المسجد العتيق
- العناصر النباتية: هي عناصر زخرفية مستمدة من الأوراق والفروع والأزهار المستمدة من البيئة ويظهر ذلك جليا في محراب الزاوية وعلى قبة المسجد العتيق
- العناصر الكتابية: والتي تتألف من الخط الكوفي أو النسخي والتي استمدت أغلبها من سور القرآن الكريم أو الأحاديث النبوية الشريفة أو أسماء الله الحسنى والتي ركز عليها الفنان السوفي في العماير الدينية خاصة حتى تزيد المكان قداسة وأكثر خشوعا للمصلين ويظهر ذلك واضحا على قبة الزاوية الضريح و محراب الزاوية
- الرسم بأصابع اليد: المنتشرة على الجدران الخارجية للمنشآت المعمارية والتي تنجز بأصابع اليد على كامل الجدار حتى تعطيه نوعا من الجمال لتزين به الشوارع والأزقة
- الهلال والنجمة: إذ تعبر عند المسلمين عن مواقيت الحج والصيام وعلامة من علامات الاهتداء ليلا لسكان الصحراء ، كما ترمز إلى الاتجاهات الخمسة أو للحماية من العين.
- وظهرت النجمة والهلال عند السوفي بشكل واسع خاصة في العماير الدينية مثل قبة المسجد، ومآذنه الأربعة ، والأبواب، ومئذنة الزاوية

أما اليوم نلاحظ ان المدينة تعيش حركة عمرانية سريعة هدمت الأنسجة القديمة ،فانعدم الطابع المعماري المميز وأصبح لدينا تجمعات سكانية بدون هوية لهذا نطلب من المسؤولين والساهرين على هذا القطاع أن يولوا اهتماما لهذه المنشآت والمحافظة عليها ،لأنها إلى جانب دورها السياحي والاقتصادي ،فإنها تعتبر ذاكرة تاريخنا وحضارتنا.

وختاما أرجو أن أكون قد وفقت في التعريف والإلمام بجوانب الموضوع ، ولا يسعني إلا أن أتقدم بالشكر إلى كل من قدم يد العون والمساعدة.

